سِرّ العالمين

وكشف ما في الدارين

تأليف

حجة الاسلام أبي حامد الغزالي

منشورات

مكتبة الثقافة الدينية

في النجف الاشرف

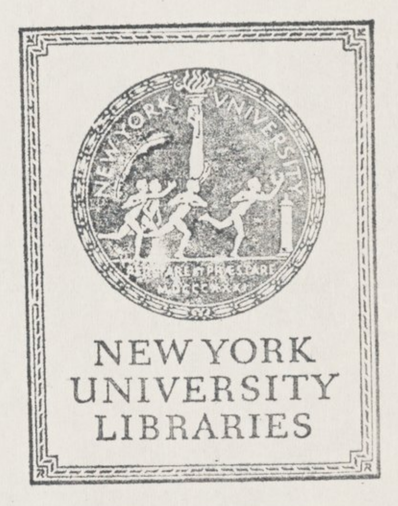
لصاحبها : محمد الكتبي

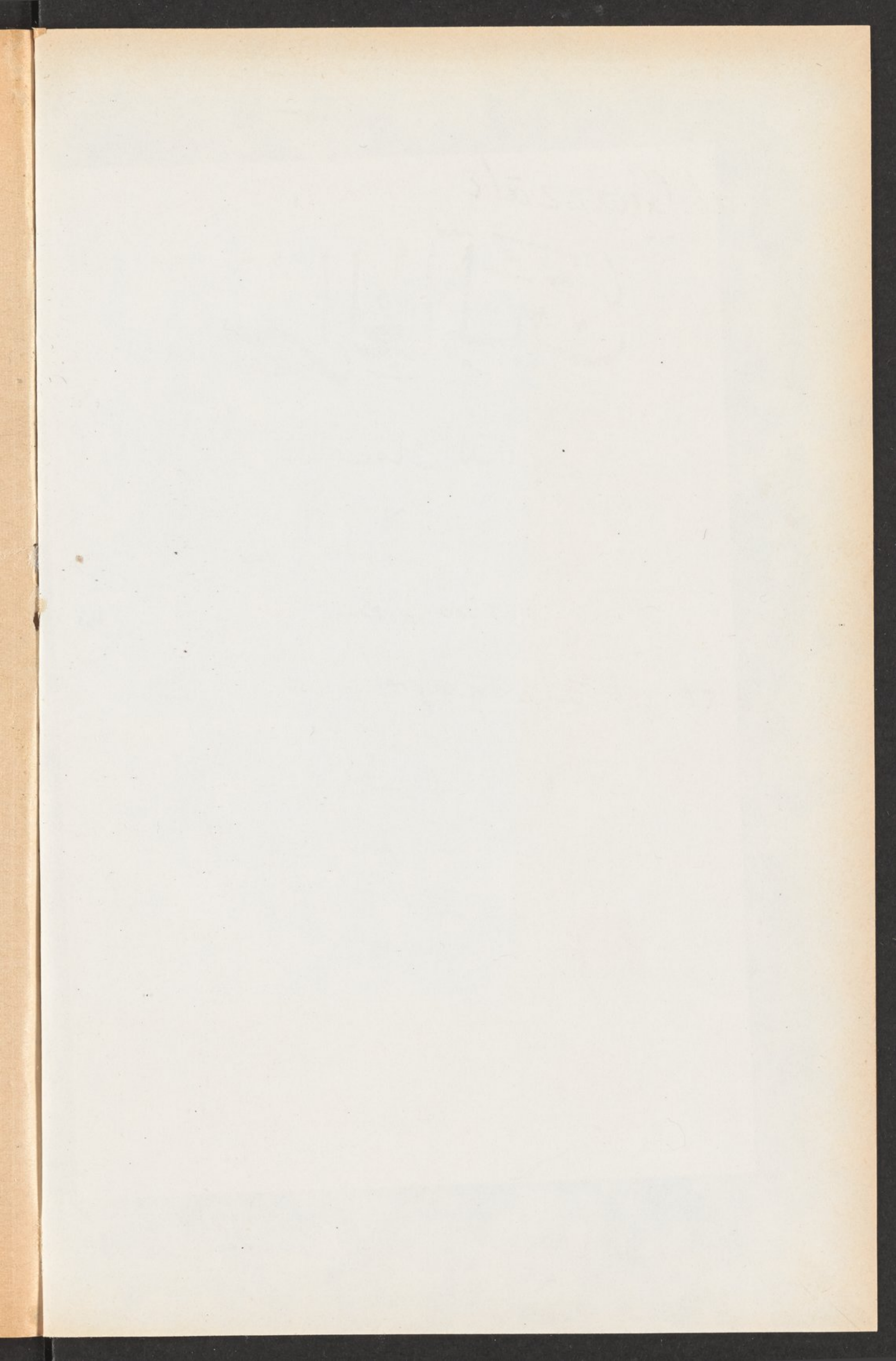
2

الطبعة الرابعة

طبع بمطابع النعمان – النجف الاشرف


BOBST LIBRARY
3 1142 02841 8203


NEW YORK UNIVERSITY
NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES



سِرّ العالمين

وكشف ما في الدارين

تأليف

حجة الاسلام أبي حامد الغزالي

منشورات

مكتبة الثقافة الدينية

فى النجف الاشرف

لصاحبها : محمد الكتبي

الطبعة الثانية

١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف

كلمة الناشر

تعتز (مكتبة الثقافة الدينية) في النجف الأشرف أن تقوم بطبع هذا الأثر القيّم الذي دبجته براعة علامة عصره الامام الغزالي وهو كتاب (سر العالمين وكشف مافي الدارين) ، وقد قامت بتصحيحه على نسخة مخطوطـة موجودة في مكتبـة الخطيب الكبير العلامة السيد علي الهاشمي ـ حفظه الله تعالى وأبقاه ـ وننتهز الفرصة لتقديم الشكر والثناء العاطر الى أصحاب الفضيلة العلماء الذين قاموا بمساعدتنا في اخراج هذا الكتاب بهذا المظهر الجذاب ، والله من وراء القصد .

محمد الكتبي

صاحب مكتبة الثقافة الدينية

مقدمة الكتاب

حياة الغزالي :

هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الملقب حجة الاسلام الطوسي الفقيه الشافعي، قيل لم يكن للطائفة الشافعية – في آخر عصره – مثله ، اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد الرادكاني ثم قدم نيسابور واختلف الى دروس إمام الحرمين أبي المعالي عبدالملك بن أبي محمد عبدالله بن يوسف الجويني الفقيه الشافعي المتوفى في ذي الحجة سنة ٤٣٨ هـ ، وجدّ الغزالي في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة وصار من الأعيان المشار اليهم وصنّف في ذلك الوقت ، له نحو مائتي مصنف ، قال أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب (تلبيس ابليس) المطبوع (ص ١٧٦) ما هذا لفظه : « وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم (أي للصوفية) كتاب الإحياء على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها وتكلم على المكاشفة وخرج عن قانون الفقه » ثم ذكر ابن الجوزي ذم الاحياء وأمثاله وقال : « إن هذه الكتب كتب بدع وضلالات » ثم ذكر عبارات عديدة (ص ٥٩٧) من الإحياء التي فيها الضلالات (بزعمه) .

وقال الجلبي في (كشف الظنون) عند ذكره (إحياء العلوم)

ما هذا لفظه : « قال أبو الفرج ابن الجوزي قد جمعت أغلاط الكتاب وسميته (إعلام الأحياء باغلاط الإحياء) أشرت الى بعض ذلك في كتابي (تلبيس ابليس) ، وقال سبطه أبو المظفر : « وضعه على مذاهب الصوفية وترك فيه قانون الفقه فأنكروا عليه ما فيه من الأحاديث التي لم تصح » قال المولى أبو الخير : « وأما الأحاديث التي لم تصح لا ينكر على ايرادها لجوازه في الترغيب والترهيب » وقد اختصر إحياء العلوم أخو الغزالي أحمد بن محمد وسماه لباب الإحياء ، وهذب الاحياء المولى المحقق الكاشاني صاحب الوافي الفيض المتوفى سنة ١٠٩١ هـ ، وسماه (محجة البيضاء في تهذيب الإحياء) طبع في ايران في ثمانية أجزاء .

مؤلفاته :

أشهرها إحياء علوم الدين ، مطبوع طبعات عديدة ، وقد شرحه الزبيدي صاحب (تاج العروس) في عشر مجلدات (مطبوع بمصر) وتهافت الفلاسفة ، مطبوع ، والاقتصاد في الاعتقاد ، مطبوع ، ومحك النظر ، مطبوع ، ومعارج القدس في أحوال النفس ، مطبوع ، والفرق بين الصالح وغير الصالح ، مخطوط ، ومقاصد الفلاسفة ، مطبوع ، والمضنون به على غير أهله ، مطبوع — وفي نسبته اليه كلام — والوقف والابتداء في التفسير ، مخطوط

وتنزيه القرآن عن المطاعن ، مطبوع ، والبسيط ، في الفقه ، مخطوط ، والمعارف العقلية ، مخطوط ، والمنقذ من الضلال ، مطبوع ، وبداية الهداية ، مطبوع ، وجواهر القرآن ، مطبوع ، وفضائح الباطنية ، طبع قسم منه ، والتبر المسبوك في نصيحة الملوك ، كتبه بالفارسية ، وترجم الى العربية ، والولدية ، وهي رسالة أكثر فيها من قوله (يا ولد) ، مطبوع ، ومنهاج العابدين ـ قيل هو آخر مؤلفاته ـ مطبوع ، والجام العوام عن علم الكلام مطبوع ، ورسالة الطير ، مطبوع ، والدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة ، مطبوع ، وشفاء العليل في أصول الفقه ، مخطوط ، والمستصفى من علم الاصول ، مطبوع في مجلدين ، والمنخول من علم الأصول ، مخطوط ، والوجيز في فروع الشافعية ، مطبوع وياقوت التأويل في تفسير التنزيل ، كبير ، قيل في نحو أربعين مجلداً ، مخطوط ، وأسرار الحج ، مطبوع ، والاملاء عن اشكالات الإحياء ، مطبوع ، وفيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، مطبوع وعقيدة أهل السنة ، مطبوع ، وفضائح المعتزلة ، ويعرف بالمستظهري مطبوع ، وميزان العمل مطبوع ، والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، مطبوع ، وله مؤلفات أخرى بالفارسية .

ومن مؤلفاته التي تنسب اليه كتاب « سر العالمين وكشف

ما في الدارين » وهو الذي بين يديك ذكره سبط ابن الجوزي في (ص ٣٦) من كتابه (تذكرة خواص الأمة) المطبوع في ايران سنة ١٢٨٥ هـ ، قال في الصفحة المذكورة ما هذا نصه : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام يوم غدير خم : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فقال عمر بن الخطاب بخٍ بخٍ يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، قال : وهذا تسليم ورضاء وتحكيم » ، الى آخر قوله : ثم قال سبط ابن الجوزي « هذه صورة كلام الغزالي » ، انظر القصة في (كتابنا هذا) .

وممّن نسب كتاب سر العالمين للغزالي القاضي نور الله التستري في مجالس المؤمنين ، والشيخ علي بن عبدالعالي الكركي — فيما نقل عنه — والمولى محسن الفيض الكاشي صاحب الوافي والطريحي في مجمع البحرين ، وغيرهم زاعمين أنه تشيع في آخر عمره ، والله أعلم بحقيقة حاله ، أنظر تفصيل ترجمة حياته في (روضات الجنات) للسيد الخوانساري (ص ٧١٩) وفي مجالس المؤمنين وغيرهما .

وقد طبع كتاب (سر العالمين) في ايران والهند ، وهذه هي الطبعة الثالثة ، فقد قام بطبعها الشهم الهمام الشيخ محمد الكتبي

صاحب مكتبة الثقافة الدينية في النجف الاشرف فجزاه الله خير جزاء المحسنين .

مولده ووفاته :

ولد الغزالي في (الطّابران) — وهي قصبة طوس، بخراسان — سنة ٤٥٠ هـ ، وتوفي بها سنة ٥٠٥ هـ ، ودفن بظاهر (الطابران).

والغزالي — بفتح أوله وتشديد الزاي — نسبة الى الغزال صانع الغزل لأن والده كان يغزل الصوف ويبيعه في دكانه ، وقيل : إن الزاي مخففة نسبة الى (غزالة) قرية من قرى طوس .

وقد ترجم الغزالي في أكثر المعاجم الرجالية ، وقد كتب الاستاذ طاها عبدالباقي سرور رسالة في حياة الغزالي ، وطبعت بمصر ، ومثلها ليوحنا قمير ، ولجميل صليبا ، وكامل عياد ، ولمحمد رضا ، ولزكي مبارك مؤلف سماه الأخلاق عند الغزالي ، مطبوع بمصر ، ولأحمد فريد الرفاعي رسالة في حياة الغزالي سماها (الغزالي) طبعت بمصر ، ورسائل أخرى كثيرة مطبوعة بالعربية والتركية .

(الطباطبائي الحسني)

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأول في ربوبيته ، والقديم في أزليته ، والحكيم في سلطنته ، والكريم في عزته ، لا شبيه له في ذاته وصنعته ، ولا نظير له في مملكته ، صانع كل مصنوع بقدرته ، المتكلم بكلامه الأزلي ليس بخارج عن صفته ، أحمده على نعمته ، واستعين به على دفع نقمته ، هو الله ربي وحده لا شريك له الواحد في ربوبيته الذي يختص من يشاء برحمته ، ختم الأنبياء بمحمد سيد صفوته صلى الله عليه وآله وأصحابه وعترته وسلم .

(وبعد) قال السيد الامام زين الدين حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله روحه : لما رأيت أهل الزمان هممهم قاصرة عن نيل المقاصد الباطنة والظاهرة ، سألني جماعة من ملوك الأرض ان أصنع لهم كتاباً معدوم المثل لنيل مقاصدهم واقتناص الممالك وما يعينهم على ذلك ، استخرت الله تعالى فوضعت لهم كتاباً وسميته بكتاب « سر العالمين وكشف ما في الدارين » وبوّبته أبواباً ومقالات وأضراباً ، وذكرت فيه مراتب صواباً وجعلته دالاً على طلب المملكة وحاثاً عليها وواضعاً

لتحصيلها أساساً جامعاً لمعانيها ، وذكرت كيفية ترتيبها وتدبيرها ، فهو يصلح للعالِم والزاهد ، وهو شريك شرك الملك بتطبيب قلوب الجند وجذبهم اليه بالمواعظ .

واول من استنسخه وقرأه علي بالمدرسة النظامية سراً من الناس في النوبة الثانية بعد رجوعي من السفر رجل من أرض المغرب يقال له محمد بن تومرت من أهل سلمية ، وتوسمت فيه منه الملك ، وهو كتاب عزيز لا يجوز بذله لأن تحته جمل أسرار تفتقر الى كشف ، اذ طباع العالم نافرة عنها ، وتحته علوم غزيرة واشارات كثيرة دالة على غوامض اسرار لا يعرفها الا فحول العلماء ولا يدركها الا كبار الحكماء ، فالله تعالى يوفقك للعمل به فانه دال على كل ما تريد ان شاء الى ههنا كلام المصنف .

قال الحسين الواعظ الفقير الى الله : لما رأيت هذا الكتاب مستصعب الردم كعنقاء مغرب وقد صار مثلاً بين الناس وأكثرهم فيه شاكّون هل كان أم لا ؟ وطائفة مكذبون انه ما كان أصلاً ، واكثرهم الناس مبنية على مجاهدات الاشياء النفيسة وهم بين مكذب وشاك وممتحن وقاذف ، العالم عندهم محقور وفقير بعين الازدراء منظور والكرامة عندهم سحر أو كهانة ، وهم يسيحون في عشواء مظلمة . وكل من ذكر له هذا الكتاب نفر وكذّب ،

وشغر وبغر (١) وتعاطى وأنكر ، وضرب بكم كبره على مزابل رعوناته ، وثار غبار جهله وتكذيبه ، وصار الجمع الا ما شاء الله صم اذا نودوا ، كأن لم يعلموا أن الكلام لهم حلال مطلق .

فلما علم الله من الخلق جحودهم وتكذيبهم انشقت صدفة العدم عن ظهور درة ظاهرة من سلالة طاهرة فاضت عن بحر ظهر محمد بن علي بن ابي منصور سيد الوزراء ومعين العلماء والد اليتامى والفقراء حامى دوحة الكرماء والمحامي بحرز مضجع وسيد الأنبياء ذو الكرم والضوضاء سيد الرجال والمشيع بالنوال ، فرحمة الله عليه ما برق البارق وذرت المشارق .

فلقد أظهر الله من ذريته الطاهرة محيي ذكره وخليفته في عصره ، فعلي كعلي وجلال كالجمال ، مد ساعد سعادته بعون عين ارادته ، فاستخرج بعلو همته هذا الكتاب المذكور من خزائن العلوم الى ظاهر الظهور ، فلما طلبه وجده وجاهد أجابه ليعلم خادم لأبيه ، فأعانه على طلبه وملتمسه ، كل ذلك بسعادته وعين علو همته ، ليعلم الجاهل الغبي انه اخو النباهات ، وسيد العلوم والمعلومات ، لوذعي الهمة قاصد لرضا الله ، طاهر الباطن والظاهر لطيف الاخلاق والسرائر ، جعله الله مؤيداً منصوراً متوجاً بالكرامة

---

(١) شغر بغر ببنائهما على الفتح : تفرق .

محبوراً ، ولقاه في الدارين نضرةً وسروراً وبلغه انهى مراتب المسعودين من الصالحين [١] .

ترجمة الأبواب ، وهي ثلاثون مقالة :

المقالة الأولى

في تدبير أمور المملكة

اعلم ان الملك عظيم وعقيم ، وعليه وقع الاشتباك والمناقشة بين الصالح والطالح والخاسر والرابح والأسفل والأعلى والعزيز والادنى ، فمنه ينشعب الحسد وكل عرض وغرض مزعزع ، ولا بد له من أصل ومرتبة وتحصيل وصبر وحلم ، وجمع اموال لبلوغ آمال ، وام الفروخ في تحصيله هو علو الهمة كما قال معاوية : « هموا بمعالي الامور لتنالوها ، فاني لم أكن للخلافة أهلاً فهممت بها فنلتها » .

وقد مرت بك قصص الملوك المتقدمين ، فانظر في أخبارهم وآثارهم ، فما بلغ أحدهم درجة الملك بأبٍ وأم غير قليل منهم :

وكم نزع الملك من يد وارثٍ مستحق

مِثل أهل بيتِ محمدٍ وسواهم

وسنتلو عليك زبدة من قصة ذي القرنين وهو صعب بن

---

(١) من « الى ههنا كلام المصنف » الى هنا ليس في النسخة المخطوطة .

جبل وأبوه نساج واسم امه هيلانة ، كان يتيماً في بني حمير ، وسمعت امه ببيت الصنائع في مدينة قسطنطين ، فحملت ابنها الى ذلك البيت ، فشاهد صورة الملك فوق الصنائع كلها ، فقالت له امه : يا بني اختر منها ما تريد ٠

فوضع يده على تاج الملك ، فانتهرته مراراً فلم ينته ، فنظر اليها يوفان فقال لها : أنت هيلانة وهذا ابنك صعب بن جبل ؟ فقالت : نعم ٠ فأخذ عهداً من ذي القرنين وذمامة علي اني وذريتي في أمانك ، فأنت الملك الذي تسحب ذيلك بطريق التملك شرقاً وغرباً ٠

فحملته امه الى أرض بابل وهي كاتمة لأمره ، فكان من بدو أمره وشواهد سعادته ثلاث منامات رآها في ثلاث ليال : فأولهن انه رأى كأن الارض صارت خبزاً فأكلها ٠ وفي الثانية رأى كأن قد شرب البحار وأكل طينها ٠ وفي الثالثة رأى كأن قد رقى الى السماء فقدّ نجومها ورماهن الى الأرض وركب الشمس وصحب ناصيته القمر ٠

فلما اجتمع بالخضر فسره اليه فبشره بنيل الملك الأعظم وسيصحب نبياً وحكيماً ٠

وكم من مثله ان اعتبرت ، فاركب نسر علواً لهمه ، وحصل

آلاتها ليتم لك كيمياؤها ، وصيرّ عندك نديماً عالماً كاتماً مطلعاً على كتبها — اعني كتب سر العالمين — ثم حصل ارباب صناعة التقليب الذن هم علماء بقلب الكيان قادرين على صنع الاحمر والابيض ، فان كنت قليل الرجال ضعيف العضد وقليل المال فكن كثير الفضل والعلم ، واتخذ لنفسك زاوية على طريق الزهد ، واجذب اليك تلاميذ وكثر عددهم واتخذ لهم طريق الكرامات لينصبوا اليك ، واستهو الكبار وأسلك بهم طريق الصلاح وربها لنفسك ، واحتل واختل ، فاذا هب نسيم سعادتك فاكشف لتلاميذك ما الناس عليه من الفسق والفجور وارتكاب ما لا يجوز من كل أمر منكرٍ ، وقل لهم : هذا وقت الإفكار على سبيل الاختصار والمواعظ واللين .

أمر أصحابك لتستهوي وتجذب كل طائفة منهم لطائفة قوم آخرين ، فاذا استقوت شرذمتك فخذ الخواص من الناس باللين والرفق والموعظة ، والمعاندين بالجدل ، وأولي الغلظة بالغلظة .

ألم تر الى بدء الاسلام كيف كان « قل يا أيها الكافرون » ، فلما وصل الى ركوب قبة السعادة نقر بسيفه « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب » ، وعند الضعف والمسالمة أخذ الجزية والصلح « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » ، وعند هبوب ريح

السعادة وارتفاع أطناب خيم الارادة « ما كان لنبي أن يكون له اسرى حتى يثخن في الأرض » •

فكن أيها الطالب للملك على هذه الوتائر ، وخاطب الناس على قدر عقولهم ، واظهر العدل ، واحترم أولي الفضل ، واشبع الجند ، واجبر الكسر ، وانصف ولو من نفسك ، وأشبع حجابك وحكامك وعمالك ، فان لم تفعل سرت الرشوة الى بطلان الحق وتعطيله ، وفشا ظلمك في الرعية ومالت القلوب عنك ، وربما ذهبت باطناً وظاهراً •

(واعلم) ان المظلوم له همة تكون وافية في عكس أغراضك مثل همم أرباب الاستسقاء فانها مؤثرة في الفلك لاستجلاب ماء الغمام ، وسأتلو عليك قصة السلطان محمود ابن سبكتكين ، وقد نفذ وأرسل رسولاً الى ملك الهند وقال : ما سبب طول أعماركم مع جحودكم للصانع وتكذيبكم للرسل والوسائط ونحن قصار الأعمار مع تصديقنا وايماننا ؟

فقال ملك الهند لرسول السلطان : انظر الى هذه الشجرة التي فوقها ثمرة لا اعطيك الجواب حتى تنقلع • ثم أمر بالادرار عليه وحسن الاقامة ، فضاق صدره وتعلقت همته بقلعها ، فلم يك الا مدة قليلة اذ سمع هدة وقع والناس يهرعون ، ومشى معهم

فاذا الشجرة واقعة والملك مفكر . فلما بصر الملك بالرسول قال له : اذهب فهذا جوابك ، وقل للسلطان هذه همة واحدة همة رجل واحد أثرت في قلع شجرة مثمرة ، فكيف همم جماعة من المظلومين تؤثر في قلع الظالمين ، اذ دعاء المظلوم محمول على الغمام .

(وقد ورد) في بعض الكتب السالفة : انا الظالم ان لم أنتقم من الظالم .

وفي بعض الآثار يقول الله تبارك وتعالى : اتقوا دعوة من لا ناصر له غيري .

(واعلم) ان العدل وبسط باع السلطنة بالهيبة مثل القتل والصلب والقطع (١) شيم الأمن وتمهيد الارض وطمأنينة قلوب الرعية ، اذ السلطان ظل الله في الارض وملجأها يأوى اليه كل مظلوم ولا يهب وضع الشيء الا في مكانه ، اذ القتل أنفى للقتل ، « ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب » .

وكان عمرو بن العاص صحابياً بدريا نبّه معاوية ، وجسره على فضائح الافعال بقصائده اللامية والنونية التي قال : « معاوى في الخلق لا تعدل » والاخرى « معاوى اني لم ابايعك فلتة »

---

(١) اذا كانت هذه الاشياء قصاصاً وأسباباً لاستتباب الأمن والا لم تكن الا ظلماً .

وفي الاخرى « افئك ولو مرة في الدهر واحدة » واخرى :

وكم للشيخ عندي من خزايا تدل على المعاوى والمخازى

وطريق آخر في استدعاء المملكة وتربيتها ، وهو بذل الاموال لبلوغ الآمال .

وطريق آخر وهو بالسيف معقود لكنها مفتقرة الى ترك الشح مع الجند واجابة دعوة المظلوم، ولا تتعرض الى الشقوصة(٢) الموقوفة ، وتجعل للرعية والسواد في كل مدة مطالعة أحوالهم ، فقد ينشعب الظلم مع الغفلة ، لا سيما من العمال والحجاب .

ولينظر في مجارى الكتاب ، فما كذبت بنت كسرى اذ سمته ديواناً . ولينظر في وقت العشاء ما كتبه الكتّاب بالنهار لئلا يتم عليه حيل ، أرباب الدساتير ، فكم من مظلوم عن حقه صد لغفلة الملك عنه ، فاذا أردت ان لا ينحجب عنك حال فامتنع عن الكلام وأمر بأخذ القصص ووقع فيها بما تراه .

المقالة الثانية

« الترتيب فى قعود الملك وسياسة يومه وليلته »

اذا صلّيت صبحك تقعد في ذكر الله الى طلوع شمسك ، ثم تأمر أهل دارك ومن حولك بما تريده من حوائجك في مأكل

(٢) الشقوصة : الحصص .

ومشرب ، ثم تركب لتسمع خبراً أو يلقاك محجوب او تلبي مظلوما أو تطلع على الحوادث ، ثم تعود وأنت محفوف بالقعقعة والسلاح والتحرز عن طمع الاعداء ، ثم تقعد في دار عدلك لكشف المظالم وسماع الرسل وتترك الناس صفين يميناً وشمالاً والوسط مفتوح لئلا يحجب عنك منظور ومظلوم وصاحب حاجة ، وتسأل عمن تنكره ولا تستخدم من لا تعرفه الا بخبرة او ضمان او تسليم الى عقيدة عصبة .

وليكن جماعة من أرباب العلم والعقل والتجارب في الرأي والمشورة ووزراء خيرٍ لا فسقة ، فمن ليس بأمين لنفسه فكيف على سواه ، ثم تنهض من مجلسك قبل الظهر وليكن له عين في الديوان لما يجري ، فاذا دخل منزله بسط الطعام ومدّ الخوان للجند والاخوان ، وليكن كثير التعاهد والتفقد وجبر القلوب المنكسرة ، وليكن على الطبخ أمين مما أساء اليه فان القلع ثمرة الاساءة ، ثم يأخذ طعم الطبخ طابخه ثم حامله ثم واضعه عند الملك بغمس اللقمة في جميعه فقد مات شهريار بن زاد بنصف تفاحة قطعت ، وقد مات ساسان بنصف قدح شراب مسلمٍ شريكه مع عطيته ، وقد سمّ النبي بذراعٍ مشوي كان السر في محبته له لقرب المشرع من المسعى ، وقد سمّ أبو لؤلؤ بسكّينته التي طعن

بها عمر بن الخطاب ، وسم عبدالرحمن بن ملجم من مراد سيفاً ضرب به قمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، وسمت حضار بنت جؤجؤة بن كعب الغساني [١] لزوجها الحسن بن علي ، وكان سبب الاغتيال به شامياً بحبٍّ من عنبٍ غير مغسول . وكم مثل ذا في الدهر ما ليس يحصر .

وتحترز من السموم في طعامك وشرابك ولباسك ومنامك حتى من منديل فراشك ، وليكن خارج العالم مجرداً مشرداً مداخلاً لهم في معرفة غوامض أحوالهم بالترسل والتجسس وكشف الاخبار من البلاد بجواسيس ساذجة متنكرة مختلفة مثل فقير وصوفيٍّ وسوقي وتاجرٍ وطير وكتب ، وقد كان المأمون له أصحاب خبر يستجلبون له أخباراً من الطرقية هكذا سنن الملوك .

فصل
وهو المقالة الثالثة
فى مسامرة الملك

ويستحب للملك سهر اول الليل الى نصفه لقضاء المهمات والقصص المستورات ، ونوم النهار عون على سهر الليل ، ونوم

---

(١) كذا يذكر المؤلف هنا والمعروف عند المؤرخين انها جعيدة بنت الأشعث .

آخر الليل يذهب تعب السهر ، والحمّام من غير اطالةٍ محبوب والتعهد بالاشربة الموافقة للأمزجة .

وليحترز عن تزوير العلائم ويمتحن ويستدرج فالخطوط تشتبه ، فأول داهية عثمان بن عفان كانت من توقيع محمد بن أبي بكر ، وهي مذكورة في سير الناس تتداول بها القصص .

ولا تفضل السرارى على النساء ، فقد يحصل من مراجيح الغيرة ما لا طاقة به ، فكم من محمول على الغيرة ثمرتها أعظم من ثمرة الحسد ؟!

ويجب على الملك أن يكون وحيداً لا أحد له من حيث السياسة ، ولا يركن الى الأمن من خوف الدهاية ، وبرهان الشعر ظاهر من قوله :

فلم تزل قلة الانصاف قاطعةً بين الانام ولو كانوا ذوى رحم

ويجب عليه التعهد لأصحاب أبيه ولو كانوا فقراء ، ومراعاة أصحابه الذين كانوا معه قبل سلاسل التمليك ، فمن لطائف اخلاق رسول الله (ص) كانت تتردد اليه امرأة يهودية فينهض لها قائما فقالت له عائشة : أتقوم لامرأةٍ يهودية قائماً ؟ قال : هذه كانت تتردد الينا في زمن خديجة ، وحسن العهد من الايمان ، وزناد الشعر قادح :

لا تلق في بئرٍ شربت زلالها آجرّة فيقال انك غادر

باب فى المقالة الرابعة

فى ترتيب الخلافة

اختلف العلماء في ترتيب الخلافة وتحصيلها إن آل أمرها اليه : فمنهم من زعم انها بالنص ، ودليلهم قوله تعالى : « قل للمخلّفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليما » ، وقد دعاهم أبو بكر الى الطاعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأجابوه .

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى « واذا أسر النبي الى بعض أزواجه حديثاً » قال في الحديث : ان أباك هو الخليفة من بعدي يا حميراء . وقالت امرأة : اذا فقدناك فالى من نرجع ؟ فأشار الى أبي بكر . ولأنه أم بالمسلمين على بقاء رسول الله والامامة عماد الدين .

هذا جملة ما يتعلق به القائلون بالنصوص ، ثم تأولوا وقالوا: لو كان علي (ع) أول الخلفاء لاسحب عليهم ذيل الفناء ولم يأتوا بفتوح ولا مناقب ، ولا يقدح في كونه رابعاً للخلفاء كما لا يقدح في نبوة رسول الله (ص) اذا كان آخراً .

والذين عدلوا عن هذه الطريقة زعموا أن هذا تعلق فاسد جاء على زعمكم وأهويتكم ، فقد وقع الميراث في الخلافة والاحكام مثل داود وسليمان وزكريا ويحيى . قالوا : كان لأزواجه ثمن الخلافة . فبهذا تعلقوا وهذا باطل ، اذ لو كان ميراثاً لكان العباس أولى ، لكن أسفرت الحجة وجهها وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم غدير خمٍّ باتفاق الجميع ، وهو يقول صلى الله عليه وآله وسلم « من كنت مولاه فعلي مولاه » فقال عمر : بخٍ بخٍ لك يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنةً .

فهذا تسليم ورضىً وتحكيم ، ثم بعد هذا غلب الهوى لحب الرياسة وحمل عمود الخلافة وعقود البنود وخفقان الهوى في قعقعة الرايات واشتباك ازدحام الخيول وفتح الأمصار سقاهم كأس الهوى فعادوا الى الخلاف الأول فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون .

ولما مات رسول الله (ص) قال قبل وفاته « ايتوني بدواةٍ وبياضٍ لأزيل عنكم اشكال الامر واذكر لكم من المستحق لها بعدي » قال عمر : دعوا الرجل فانه ليهجر ، وقيل يهذو .

فاذا بطل تعلقكم بتأويل النصوص فعدتم الى الاجماع ،

وهذا منقوض أيضا ، فان العباس وأولاده وعلياً وزوجته وأولاده لم يحضروا حلقة البيعة ، وخالفكم أصحاب السقيفة في مبايعة الخزرجي ، ودخل محمد بن أبي بكر على أبيه في مرض موته فقال : يا بني ائت بعمك عمر لأوصي له بالخلافة ؟ فقال : يا أبت أكنت على حقٍ أو باطلٍ ؟ فقال : على حق . فقال : اوص بها لأولادك ان كان حقاً أولى فقد مكنتها بك لسواك ، ثم خرج الى علي عليه السلام وجرى ما جرى .

وقوله على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله : « اقيلوني أقيلوني ولست بخيركم » أفقاله هزلاً أم جداً أم امتحاناً ؟ فان كان هزلاً فان الخلفاء منزهون عن الهزل ، وان كان جداً فهذا نقص للخلافة ، وان قال امتحاناً ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ .

فاذا ثبت هذا فقد صارت اجماعاً منهم وشورى بينهم .

هذا الكلام في الصدر الاول ، أما في زمن علي (ع) ومن نازعه فقد قطع المشرع قولكم في الخلافة بقوله «اذا بويع الخليفتان فاقتلوا الآخر منهما » .

والعجب كل العجب من حقٍّ واحد كيف ينقسم ضربين والخلافة ليست بجسم ينقسم ولا بعرض يتفرق ولا بجوهر يحد ، فكيف توهب او تباع .

وفي حديث أبي حازم : أول حكومة تجري في المعاد بين علي ومعاوية فيحكم لعلي بالحق والباقون تحت المشيئة .

وقول المشرع لعمار بن ياسر « تقتلك الفئة الباغية » فلا ينبغي للامام أن يكون باغياً والامامة متضيّقة لشخصين ، كما لا يليق الربوبية لاثنين .

اما الذين بعدهم طائفة تزعم أن يزيد لم يكن راضياً بقتل الحسين عليه السلام ، فأضرب لكم مثلا في ملكين اقتتلا فملك أحدهما الآخر أفتراه يقتله العسكر على غير اختيار صاحبهما الا غلطاً ؟ ومثل الحسين عليه السلام لا يحتمل حاله الغلطية لما جرى من القتل والعطش والسبي وحمل الرأس اجماعاً من جماهير المفسرين ، وقتل الأمة المغنّية حيث مدحت علياً في غنائها ، أفتراه قتلها بغضاً لعلي أم لها .

وقول يزيد بن معاوية لعلي بن الحسين عليه السلام زين العابدين : أنت ابن الذي قتله الله ؟ فقال : ابن الذي قتله الناس ، ثم تلا قوله تعالى « ومن قتل مؤمناً متعمداً » افتراك يا يزيد تجعل جهنم لربك جزاءً وتخلده فيها وتغضب عليه وتلعنه وتعد له عذاباً اليماً عظيماً .

فان قلت هذه البراهين معطلة لا يحكم بصحتها حاكم الشرع

فنقول : في حججكم مثل ما تقولون ٠

ثم اجماع الجماهير بشتم علي عليه السلام على المنابر ألف شهر أمركم الكتاب به ام السنة أم الرسول ؟ ثم الذين بعدهم من غيرهم أخذوها نصاً أم سنة أم اجماعاً ؟ لكن قد أخذوها بسيف أبي مسلم الخراساني ٠

فانظروا الى قطع اجماعكم بسيف المشرع (ص) حيث قال لكم « الخلافة بعدي ثلاثون ثم يتولى ملك جبروت » وبقوله للعباس « يا أبا الاربعين ملوكاً » ولم يقل خليفة والملوك كثير والخليفة واحد في زمانه ٠

فيا أيها الطالب للملك حصل الآلة وجمّل الحالة وابذل واصبر واجذب واقرب وطوّل واحتمل وصالح حتى تقدر ٠

فصـــل

وهو المقالة لخامسة

سياسة الملك مع الجند

اذا أردت ترتيب ملك في الملك فاستهو رجال الدول بعد تحصيلك المال ثم بايع وذلق [١] بعضاً على بعض للجذب ، فهو

(١) أذلق فلاناً : اضعفه واقلقه ، والمعنى ضعف بعض رعيتك بالبعض الآخر حتى تتمكن من جذبهم اليك وجمعهم حولك ٠

كما قال المتقدمون :

اذا هبت رياحك فاغتنمها فان لكل خافقــة سكون

ولا تغفل عن الاحسان يوماً فما تدري السكون متى يكون

واجعل قواعد المملكة على الكبار على هيآت ترتب الجسور والقناطر لتجوز عليها الى تناول اغراضك ، فان وجدت مشاركاً فداوه بأنواع المعالجة ، وآخر الدواء الكي .

ثم انظر في دستور عدد الجند وعدد القرايا ومعرفة الدخل والخرج والنقص والزيادة ، واستغرض الجيش في سنتك ثلاث مرات ، واجعل طلائعك أربع مائة نفر من امنائك .

وان أردت الغزو فاشبع الخبز ، فاذا وجدت وطفقت الى مصافٍ فرتب جيشك صفوفاً وراء صفوف ، وخمّر مع اصحابك ليذلوا السيف في الصف المنهزم من أصحابك ، وكن مشرفاً عليهم من نشز ولو نصبت اعلامك زوراً من غير حمل ، وادخر لنفسك أجود الخيل والرجل .

واعلم ان من خامرك في الأول هو مخامرك في الآخر ، وبوقك معك وبددها ان شئت في العسكر ، واترك لك كميناً من أجود رجالك ، فاذا وجدت العي في القتال فاستجرّ الاعداء الى قريب الكمين ، وليكن بينكم علامة .

واذا عزمت على قتال قرنك فعجل ولا تطل في مكث مكان لخوف الفشل والمفاسخة ، كما عمل ذو القرنين في عسكر الملك داراً فأفشلهم ونزلهم وفسخهم وبرطلهم فتعلم .

واعلم وكن بذالاً لا متاجراً ، وانظر في دساتير الدخل فكثّر ان شئت أو قلل ، وليكن لك عين على معرفة المقاتلين ، وأنعم على من قاتل واعزل الجبان على الهوينا .

ثم احتسب على خزائنك وخزانك بمعرفة ما فيها وما تنقص وما تزداد ، وان لم يك لك بد من التزويج فاستند الى أموال ورجال ودين وجمال ، وان كان المشرع ندب الى الدين قد قال ما قال .

واعلم ان الملك بغير جواسيس وأخذ أخبارٍ كالجسد الذي لا روح له ، وحصل آلات الحصون مما تحتاج اليه في الضيق فانك لا تدري لعل الله حدث بعد ذلك أمراً ، ولا تنم عن تهيئة الرعية واختلاف الجند ، وامنع الفقهاء عن الكلام في الفتن ، وأمر نوابك أن ينظروا ما عند الخلق من الأطعمة في المحل ، ولا تمنع الناس من تحصيل الاطعمة فانه لك وللناس عند الحاجة ، وانظر فيمن امتنع من الزراعة ان كان لفقر فقوه وان كان لظلم فانصره كما قال ملك الهند : « اني أفرح لكثرة دجاج البلد فانه

فرع العمارة » واغتنم لكثرة الخاطبين خوفاً من ظلم المقاطع .

وقد كان ذو القرنين يحوي دساتير على عدد اناس القرايا وتسلم عليه المرأة بقدرٍ من لبنٍ ، فأن رآه دسماً ضحك لجودة الربيع ، وكان يقول : أنا أمسك الفلاح اذ لا أجد مثله ومثل المقطع فأجد معناه انما المقطع بالخبز فان لم يجده انتقل ، والملك بفلاحه اذ هو خزانته وبه يسطو ويجنّد وينعم ويطلق وينظر في الخزائن والامراء .

واذا قدر على تبديل الطعام المتغير بغيره فليفعل ، فقد كان المأمون يستعرض السلاح والآلات مثل الخيم والمناجيق حتى قال لأمير دوابّه : رتب مخاليك كما ترتب معاليك .

فصل

وهو المقالة السادسة فى ترتيب الولاة

لا ترتب في الحصون الا والياً شفيقاً رفيقاً بالخلق ، ولا تكلفه ثقلا فيستقصيه من بلدك واشبعه ، وجند الحصن وانظر في مراكز خبزه ومائه وحرسه وسوره ، وبدل حراسك في البروج ، وطف بنفسك أيها الوالي على اعلا سورك ، ولا تخالط جندك بالليل خوف المخامرة ، واسأل عن أعداء الحصن ، ولا تستحقر القليل فان

الذبابة تقتل جملاً ، وكم من عقربٍ قتل لسعها كما قيل :

ولا تحقرن أمراً صغيراً فربما تموت الأفاعي من سموم العقارب

واحذر من مكر ذوي المحن فقد قيل :

فان الجرح ينفر بعد حين اذا كان البناء على الفساد

ولا يكن الوالي شريب الخمر وهكذا الامير ، ولو حضر في مجلسهم فليحاكهم في الجلاب ، ففي الخمر آفات وزلازل عقل وحدوث بلايا واظهار حقودٍ ، اذ صاحب الملك مرموق بالحسد •

قال النجاشي لجعفر بن ابي طالب : كيف سيرة نبيكم في الأكل مع اصحابه ؟ فقال : يأكل على الارض • فقال : ذلك تواضع لجلب قلوب أصحابه • فقال النجاشي : لو كان ملكاً لأكل وحده على خوانه مع اخوانه في جمع معروف له ونوادي مخصوصة •

ثم الرزق ان كان مقطعاً فمعروف وان كان ذهباً فشهر بشهر ، ولا بأسٍ بالسلام عليه وهو موصول بهم ومعزول عنهم ، والمعاهدة لرسل الملك واقامة ناموسه عند الغرباء والمنشدين والقصاد ، وكان سليمان (ع) يقسم اسبوعه بعضه للجند وبعضه للقضايا وبعضه للرسل وبعضه للعبادة وتذكار الحكم والنساء ، وكان يقول : يا أرباب المملكة عليكم بأهل العلم والصلاح فانهم يرشدونكم اذا ضللتم ويعرفونكم اذا جهلتم ويستعطفونكم اذا غضبتم وينفقونكم

اذا حُرمتم .

وقال علي بن ابي طالب عليه السلام :

ولا تصحب أخا الجهل واياك واياه

فكم من جاهل أردى حكيماً حين آخاه

يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه

وللشيء على الشيء مقاييس وأشباه

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وليقلِّ الملك المنادمة والمسامرة ، وليقلِّ من الهزليّات والمضحكات ، وليكن وزيره قابلاً للعلم والصلاح منزّلاً للناس في طبقاتهم ، ولا تنظروا في حسن البزّة مع عموم الجهلة ، فقد نقل الينا ان بهلولاً دخل الى مجلس هارون فجلس في أدنى المجلس فقال له هارون : ارفع نفسك الى صدر المجلس . فقال بهلول : مجلس يفنى فأين صدره ، ثم أنشد :

كن رجلاً وارض بصف النعال	لا تطلب الصدر بغير الكمال
فان تصدرت بلا آلةٍ	جعلت ذاك الصدر صف النعال

ومن جملة فنون الملك ان يختار لنفسه طعاماً يخصه ، وقد كان المأمون يحب المأمونية ، ومهلب العراق يحب المهلبية ، وقد كان بنوا أمية يكثرون من أكل الهرايس والزلابية ولم يغسلوا

اللحم بل يكشفون الجلد فيأخذون من تحت الجلد ما يختارون فتداول الأيدي بذفر اللحم ٠

وقد روى أبو طالب المكي ان النبي صلى الله عليه وآله قال: شكوت الى أخي جبرئيل ضعف الوقاع ، فأمرني بأكل الهرايس فوجدت لظهري بها جبراناً ٠

وقد كان ذو القرنين يحب اليزرباج [١] لتسكينها للخلط الصفراوي ، وقد وجد بخاراً حاراً تولد للصفراء فانزعج بها جبينه، فمزج له بالطبخ ماءً او عسلاً وخلاً فشربه فقال : سكن جبيني فسمي بذلك الاسم ، فكان يخلط خشن الدقيق وناعمه فيتخذ له منه خبزاً ٠ فقال له الحكيم : من خوشك خشكار وأراد الخبز الخشن للمعدة الضعيفة والخلقة البلغمية أجود واعود وللخبز السميد [٢] زبدة تبيَّن في الخفق وهذا مشاهد عياناً ٠

فصل

وهو المقالة السابعة فى ترتيب حاشية الدولة

يستحب للفرّاش أن يكون رشيقاً خفيف النفس ظاهر القوة طيب الريح عارفاً بترتيب الخبز والخضراوات كامل العدة ، وهكذا نقول في الطباخ والشرابي ٠

وتكون دار شربه كاملة المشارب من الماء البارد والأشربة

---

(١) نوع من السكنجبين ٠ (٢) ما يخبز على السماد ٠

والفقاع ، واما السكنجبين فشربه نافع باذن الله تعالى على الريق وهو محمض للطعام منفخ للجوف ٠

واعلم ان آداب أهل التصوف في المآكل والمشارب هي آداب الملوك ٠ ترك ابراهيم بن أدهم كبر الملك وأمسك آداب الطعام ٠

والبدء بالحوامض اولى والركابية والسعاة خفاف السرعة شباب ، وهكذا جميع المقاتلين والشيوخ للهيبة والرأي ، ومحط العسكر في نشز من العدو أولى للتحصن واغتنام الأهوية والخمول في الشتاء أجمل والتهيئة لما يختاره في الصيف ، ورحيل السلطان لقلائل السفر عند نزول الشمس في السرطان وسكونه عند نزولها آخر القوس ، اذ فصول السنة أربعة ، فمن نصف حزيران الى نصف أيلول صيف ثم الى نصف كانون الاول خريف ثم الى نصف آذار شتاء ثم الى نصف حزيران ربيع ، وهكذا على أقسام منازل الشمس والخبر النبوي صلى الله عليه وآله يؤيده اذ انتصف الشهور تغيرت الدهور ٠

فان ركب بعد صلاة العصر والا قعد لكشف المظالم والكتب وسماع القصص وهو يسمعهم في عزلة ٠ كان السابقون من الملوك اذا قعدوا للسلام يقعدون وراء شباك ويدخل من يشاء اليهم خوف الاغتيال في المزاحمة ، ويفتش عن غوامض ما يجري حتى يكون

له صاحب خبر في البلد يرفع الغث والسمين ٠

ويستحب أن يطالع كتب الطب والتواريخ وشاهنامة العجم وقصص السابقين للعجم والديلم مثل ما جرى لشهريار الديلمي ورستم زاد وكان النبي يومئذ سليمان فارمى الوقائع بينهم حتى هلك بعضهم ببعض ٠

وكن مع الملك جحوداً كتوماً لما يجري واحفظه في الحمّام وكثيراً ما هلكوا فيه وحمّام داره أجمل ، وعليكم بكتم مرضه وموته حتى يستقر الملك فيمن شاء الله من عباده بعد البيعة والمشايعة وتقرير القواعد ٠

وكن أيها الملك مسارعاً في الثناء والثواب فانه الذكر المخلّد وأكثر ما تنظر في كتب ابن ابي الدنيا وتواريخ الطبري ومذهب الشافعي وتحرير القواعد أو من تختار من المذاهب ، ولا تظهر البدعة ولو كانت فيك ، فالبساسيري [١] وبنو بويه [٢] هلكوا بمتابعة الأهواء ٠

---

(١) الباسيري هو أبو الحرث ارسلان التركي خطب للمستنصر صاحب مصر ولكن غلب على أمره وقتله طغرل السلجوقي ٠

(٢) تفانى ملوك بني بويه في حب أهل البيت الطاهر معروف لا يجهله من عرف سيرتهم ومبدأهم ٠

وللنعم أجنحة ألا فقصوها بالشكر ، واجعل بينك وبين الله طريقاً من الصلاح ، فقد حُكي ان ملكاً من المتجبرين قمع ملك الموت عنانه فقبضه على ما لا يريده ، وان ملكاً صالحاً أتاه ملك الموت فأسر اليه في اذنه فقال : اني ملك الموت . فقال : مرحباً بك فأنت أطيب القادمين وخير النازلين وأحب المنتظرين فافعل ما امرت به . فقال ملك الموت : لا اقبضك الا على ما تختار فتوضأ وسجد فقبضه على سجوده .

ومن لطايف الحكايات الملكية ان محمود بن بويه لما ملك أرض العراق اعطى ألف دينار لفراش له وقال له : اذهب الى مدينة اصفهان الى شارع السلطان ، ففي صدر الدرب بيت فيه شيخ وعجوزاً دخل اليهما فسلم عليهما وقل لهما ابنكما يقول لكما : كيف أنتما من وحشة فراقه ؟ فلما وصل اليهما وأخبرهما قالا له : خذ ما جئت به لك . فقال الغلام : أنتما فقراء وبكما حاجة اليه . فقال الشيخ : غنى النفوس باقٍ ، ثم تنفس وتمثل بهذا البيت :

لاتزدريني وتزدري خلفي   فانما الدر داخل الصدف

وللشافعي في مثل هذا شعر :

عليّ ثيـاب لو تبـاع جميعها   بفلس لكان الفلس منهن أكثر

وفيهن نفس لو تقاس ببعضها   نفوس الورى كانت أجل وأكبر

وغيره :

وما ضر نصل السيف أخلاق غمده

اذا كان قصباً حيث وجهته فَري

ويستحب أن يكون المسمع للملك مغنياً ندي الصوت شجياً لا خارجاً ولا لحّافاً عالماً بالاصوات ثقيلها وخفيفها وهزجها ورملها وصوفيها وأصواتها الثقال مثل قول أبي الشيص :

أجد الملامة في هواك لذيذةً حباً لذكرك فليلمني اللوم

ومثل قول أبي نؤاس في الوزن :

شرك النفوس وعصمة ما مثلها للمطمئن وعقلة المستوقر
ان طال لم تملل وان هي اوجزت ود المحدث انه لم توجر

وفي المستهل والعمل شعر علي بن عامر مجنون ليلى :

خليلي قوما في عطالة فانظرا انار ترى من أرض ابرق أم برقا
فان تك ناراً فهي حب بملتقىً من الريح تذروها وتصفقها صفقا
وان يك برقاً فهو من مشمخرةٍ تغادر ماءً لا قليلاً ولا رتقا
لأمِّ عديٍّ أوقدتها طماعة لاوبة سفر أن يكون لهم وفقاً
وحطابها رحلى قليلا فانها لأول اطلالٍ عرفت بها العشقا

وليكن المغني عالماً بطرق الأغاني مطلعاً على كتب الموسيقى الموضوع للرئيس أبي علي سيناء ، وقد شرحناه في كتاب السلسبيل

لأبناء السبيل وسأذكر لك نكتة عنه فأقول كما قيل : ان لدورات الافلاك أصواتاً لو سمعها عاقل او لبيب لما ثبت ومنها أخذموسى ترجيعات النغمات من المربع والمسدس والمثمن ، وهو المرجع ذو الزوايا بطريق التلحين . ومنه أخذ زردشت بني المجوس الزمزمة والنصارى عملوا ببعضه ، فالالحان للروم ، والتجنيس للعراق ، والزقايق للعجم ، والطبول للزنج والحبشة ، والبوق لليهود وهو سبعون دستانا مثل دستان (١) الرحيل تقول في وزنه :

ارکب فأنت المظفر   ارکب فالله أكبـــر

ودستان الحروب والنزول وغيره ، وقد قال سقراط : اشتباك نغمات الأصوات من هياكل العبادات يحل ما يعقد في الأفلاك الدائرات مثل همّة اصابة العين والسحر والاستسقاء **وسنذكرها** في موضعها .

وكن مع الملك كما قال بعض الحكماء :

اذا خدمت الملوك فالبس   من التوقّي أشد ملبس
وادخل اذا ما دخلت أعمى   واخرج اذا ما خرجت أخرس

---

(١) دستان ج دساتين اوتار العود (الاغاني) .

فصل
وهو المقالة الثامنة
فى ترتيب الحجاب والوزراء والكتاب

يقعد الوزير في دسته ، وحاجبه على رأسه فلا يلاصقه أحد في المنصة ، وكتابه لديه ، والمجلس ملآن هيبة ووقاراً ، والحوائج الى الحاجب والتوقيع الى الكتاب والاطلاع للوزير ورفع الامور للملك .

فأول ما يبدأ بمصالح المحاسبة بعد الملك هو الوزير حتى الى التقليد ، وقيل لا يحضر الملك الجمعة الا في مكان معزول في مقصورة له خاصة ، وأصحابه في دائرة المقصورة من خارج والباب مغلق وعنده من يركن اليه ، ويخرج هو وأصحابه في آخر الناس في باب له .

وليكن له يومان في الاسبوع للختم والزيارة ، وقعود العالم على طبقاتهم ثم يبدأ بقراءة الربعة (٢) بعد الصبح ، فلا يستعجلون حتى تفرغ الأجزاء ، ثم يقرأ قرّاء النوبة فاذا فرغوا وعظ الواعظ وأنشد المنشد ، ثم يقرأون « قل هو الله أحد » والمعوذتين والفاتحة

---

(٢) الربعة احزاب القرآن الكريم .

والم[٣] الى « مفلحون » ، ثم يختم الامام بتصديقه خفيفة ويدعو للملك والمسلمين ٠

وليكن للملك في الاسبوع يوم خلوة عبادة وتذكار والنظر في الحساب والأموال والنظر في دساتير البلاد ٠

فصل

المقالة التاسعة

فى ترتيب الخباز والطباخ والقصاب

لا يكون القصاب عدواً في الدين فانه لا يتحرج من النجاسة ، وهكذا الخباز والطباخ ، ويفتقد المعاجن وآلات الطبخ في الدقيق واللحم ولا يلعب باللحم لكثرة استمرار اليد ٠

وليكن الطباخ عالماً بصناعته وعنده كتب الطبائخ الكشاجم[١] الأشربة والأدهان والحلاوات والريح الطيب والألوان الغربية ، فاكثار المحصور من الدجاج والطائر يخشى على كبده وعلى أطرافه

---

(٣) أوائل سورة البقرة ٠

(١) هو محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك شاعر أديب لغوي امامي المذهب حسن العقيدة وجده السندي هو الذي سجن الامام موسى بن جعفر عليه السلام بأمر الرشيد ٠

من النقرس (٢) وكثرة مواظبة لبس الصناعات .

وأحسن المآكل وأطيبها وأنفعها وأقواها للعافية هو لحم مرضوض مقلوب مرشوش بالمياه الحامضة يحشى به العجين فيغلى وأطيب الحلاوات ما كثر خبزه ، وأنفع الهرائس لمن به حرارة المزاج هو اللون النوني من البرزة يقلى ، وقد هجرت الألوان الطريفة باستيلاء الترك واتخاذهم البستق والفرامش والنوالة والططماج والسكر بورك والبورك المعمول من اللحم والحوائج الحادة المعمولة في العجين .

فاذا كنت ذا فنون في طلب الطبائخ فاطلب كتبها ، وقد ذكرنا طرفاً منها في آخر كتاب السلسبيل .

واذا أردت الامور العقلية فعليك بكتابنا المقاصد وكتاب النجاة للرئيس ، وان شئت فيه الغاية القصوى فعليك بكتاب الشفاء واطلع على الكتب الاصولية الدينية خاصة كتب شيخنا امام الحرمين من مثل المحيط والارشاد ، ومن كتبنا النافعة في ذلك كتاب الاقتصاد في علم الاعتقاد وكتاب قواعد العقائد من اول كتاب الاحياء والرسالة القدسية .

واذا أردت الطب فكثير وأنفعها ما عمل به من جميع الكتب .

---

(٢) داء معروف وقيل ورم يحدث في مفاصل القدم .

واطلع على العلوم الشرعية لتعلم الخلل من المفتي وأرباب الهوى ، ثم ترجع الى تحرير مقامات العمال .

لا تستخدم في العمـالة الا عارفاً بفنون الحساب والجبر والمقابلة والمساحة ، بحيث لو قيل : ما تقول في أرض ذات زوايا لا تقدر على حفظها بخيط ولا قصب ؟ فان قال تذرع بالذراع والشبر (فليس له أهلية العمالة) ، ويمتحن في معرفة علوم الحساب كما يمتحن الكتّاب في الرسائل والاجوبة وكتب الدساتير ، فان ولعت برسالة صاحب بن عباد وأبي اسحاق الصابي فلا بأس بأخذ الزبد .

وليكن صاحب الانشاء كثير الفضل والتوقف في الديوان في الزمان القصير الى الظهر وفي الزمان الطويل الى النزول من الركوب ، ثم يحاسبهم على ما اليهم ويستوعب من وكلاء القرايا وليسأل عن المظالم ، ولا يكون ملولاً ولا ضجوراً ولا صخاباً [١] ولا طياشاً [٢] ولا لعّاباً .

وقالوا يجوز له لعب الشطرنج ولا يلعب بالنرد لأنه يخرق الحرمة بالقمار ، فقد ذكر أن أردشير لما أخرج النرد قيل له ما

---

(١) صخب الرجل وتصاخب صاح عالياً .

(٢) الطياش من لا يقصد وجهاً واحد لخفة عقله .

يستحق له الا قطع اليد فقال سأقطعها بتركه . كما قيل للحجاج ابن يوسف وقد شكى من أكل التراب : « الق عليه من همتك وعزيمتك » فلم يأكله بعدها أبداً .

واعلم أيها الملك أن علو الهمة مع الصبر على الخدمة حتى في التصوف واختلافه في الثمر كل ذلك بالهمة والخدمة ، ألا ترى قول أمير المؤمنين علي عليه السلام :

بقدر الكسب يكتسب المعالي	ومن طلب العلى سهر الليالي
تروم العزّ ثم تنام ليلاً	يغوص البحر من طلب اللئالي
النقل الصخر من قلل الجبال	أحب اليّ من منن الرجال
وقالوا للفتى في الكسب عار	فقلت العار في ذل السؤال
اذا عاش امرؤ ستين عاماً	فنصف العمر تمحقه الليالي
ونصف النصف يمضي ليس يدري	تقضى في يمينٍ أو شمال
وربع العمر أمراض وشيب	وشغل بالتفكّر والعيال
فحب المرء طول العمر قبح	وقسمته على هذا المثال

المقالة العاشرة
استعداد الملك لمقابلة العدو

اعلم أيها الملك اذا أردت معاندةً لملك فاعتبر جيشك وخلّصه من المواطاة والنفاق ، ثم زن مالك فان قدرت على مشابكته فلا

تبدأه بالغي وقلده ذلك وافتح له أبواباً من حبه ، وان خفته ولا طاقة لك به فمل الى مصالحته ، فالزمان يدور مثل الكواكب .

وحبب من قدرت من اصحابه ولو برشوة ، وفاسخهم والق بينهم وكاتب بعضهم على ألسنة بعض ، وان خفت أحداً في دولتك فداهن وسلّم وتواضع فربما تجد الأمل ، واذا كثر الزمان فاصبر لعضه فلابد أن يبسم لك ، وان عزمت على حصار مكان فأوقع الخلاف في الحصن .

كتب سليمان (ع) الى رستم زال [1] . « اما بعد فاني لأخشى عليك من مخامرة اصحابك الذين معك فربما يسلمونك لاعدائك » .

ثم كتب الى كبار اصحاب رستم : « خافوا على انفسكم ، وهذا خطه الي في اغتيالكم وقد زعم انكم نافقتموه ، فان سلّم حصنه الى شهريار فلا تكون الدائرة الا عليكم » .

فلما قام القتال بينهما فروا جميعاً الى شهريار وأمن سليمان عليه السلام عليهما بعد الكسر ، وشهم بأصحابه فقتل رستم وقبض على شهريار وأمر السيف على الفئتين ، فأصابهم مثل نوبة بني اسرائيل مع بخت نصر ، فجعل النساء — على ما قيل — قحاباً للمارة وللمبارزة ثم سخّر على ذلك البلد وأقطعه للذين لا خبر لهم .

---

(١) من شجعان الفرس المشهورين وأبطالهم ما قبل التاريخ .

ولا تنبئهم فستضعف نفسك بنفسك ، فتكون كالذي طابت له حلاوة العسل فعمد الى اخراب كوارير النحل ، فتكون اشقى الثلاثة : يروح المظلوم بالثواب ، والظالم بالانتهاب ، وتظفر أنت بمرارة الحساب ومتى تعمر الخراب يا غراب .

ثم تكتب الى أهل الحصن ولو في نشابة « من أراد خيره فلينزل الينا » فاذا قدر لك بالحصار فليكن في حزيران ، واحفظ البلد في المقطعين من السياسة واللائذين بالدواب ، وليكن لك في كل قرية علامة ، وعاقب المخالف بأنواع ما تريد ما لم تجاوز النصفة ، وسل المشر في ثم انصب الأحراس ، وانزع الثياب وصواني فيها ذهب ، وفرق القتال في جنبات الحصن ، وامنع خروجهم ودخولهم خوف الاغتيال .

وقد كان رسول الله (ص) في عام خيبر مكّنهم الخروج ، وكان لهم جوع حتى أطعمهم وخرج الاكثر منهم ثم منعهم من الدخول ، فان اتفق لهم جهةٌ اخرى تركهم على الحصن مقطعين القرى مع طائفةٍ من خواصه .

فان افتقرت الى نقبٍ وزرق ومنجنيق فافعل وارهب وزعزع وقعقع ، وليكن باطنك على أهل السواد سليماً .

المقالة الحادية عشرة
فى آداب سفر الملوك

افتقد آلات سفرك قبل خروجك ، وناد في عسكرك بالاعلام قبل الخروج بمدة ، واترك بعدك من يتفقد الناس ، وليكن عندك صناع فيما تحتاج اليه ، وليكن سوق عسكرك آمناً تحفظه بالتغليظ في السياسة ، وليكن وزيرك عالماً بكتب أرباب السياسات (مثل الممالك والمسالك) وسياسات المعري التي أودعها الرئيس في آخر كتابه المسمى بالأدوية القلبية وكتاب قوانين الملوك لابن قرة ، وتقتني مثل كتب البيزرة الكشاجم وكتب البيطرة لابن قتيبة وكمنهل الرومي ، فهذي تحتوي على أصناف البزاة وأدويتها ودائها وهذا يجري على ذكر أصناف الدواب وأصناف الخيول ستون صنفاً •

وكان الاسكندر ينظر الدابة فيعرف مرضها ، وهذا هو الطب الأصعب ، اذ لا يمكن فيه من المسائلة ، وكان يقف في شباك له أو خيمة مشرفة على الدواب وعلفها ، وقيل له : اتباشر هذا الأمر بنفسك ؟ فقال : لأنها لنفسي • وامغص له فرس فسقاه ماء الاشنان مبرّد فبرىء •

ومن جملة الخواص تمشيتها على قبور أهل الذمة ، فقد سئل

رسول الله (ص) عن ذلك فقال : تسمع عن قبور أهل الذمة صعقات الانتقام وصراخهم من تحت العذاب فتفزع فتشفى •

وهذه الخواص كثيرة من الحيوان والنبات والجماد ، وقد ذكرنا شيئاً منها في فصول هذا الكتاب • وقد روى أبو هريرة قال : لما فتح عمر مدينة القدس وأمر فيها عبدالله بن مسعود فأتيته مهاجراً اليها فدخلت عليه فلم أر له حاجباً ولا بواباً ، فسألته عن ذلك ؟ فقال : سيطؤها عثمان ثم تسمعون بمنزلها ، ثم رأيته ينقي شعير فرسه بيده فقلت له في ذلك فقال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : « من افتقد قضيم دابته وتقّاه كان له بكل حبة عشر حسنات » افتراني اعطي هذا الثواب لغيري ، افتقد نفسك ما ينجيك هو خير لك من كبرك الذي يطغيك •

ومثل هذا نقل عن أبي حازم قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز فأخذ المصباح ينطفيء ، فقلت : أما انبه غلامك ؟ فقال : لا فقلت : أقوم أنا ؟ فقال : لا • ثم قام عمر واصلحه ثم قعد وهو يقول : قمت وأنا عمر وقعدت وأنا عمر ، قبحاً لوجه المتكبرين • ثم أنشد :

اذا عظم الانسان زاد تواضعاً	وان لؤم الانسان زاد ترفعاً
كذا الغصن ان تقوى الثمار تناله	وان يعر عن حمل الثمار ترفعا

المقالة الثانية عشرة
فى صفة نوم الملك

أيها الملك اذا كنت في سفر وصحبت فوجا أو حرسا حادا أو مشاغل كن متيقظاً بنفسك واشبع في النهار واسهر في الليـل بالمنادمة والقصص والسيّر وتدبير الاشغال ، وان كان في الحضر فشد حراسة الباب والسوّر ، وليكن البواب من جملة البراني ، ونم وحدك في مقصورة لطيفةواجعل أهلكخارجها والمفتاح عندك ، فان استدعت نفسك بعض جواريك فلا تستدع الباردة الثقيلة فمعاشرة الوحش الخفيف خير من الحسن الثقيل .

قيل لجعفر الصادق عليه السلام لم تختار السود على البيض؟ فقال : مصيّف ومشتي واخونة شتى ، وقال أطيب الجماع أفحشه .

وقد شكا بعض الملوك من قلة الانعاظ وكان يخاف الأدوية الحارة ، فاتخذوا له كتاب الباه بطريق الحكايات فعلت فلانة وفعل بفلانة ، كما قال الحجاج :

ما كرهن النساء للشيب الا   انـه مؤذن بنوم الذكور

وانظر البيت الذي في القصيدة اليتيمة :

ولها هـَنٌ رابَ مجشـمه   ضيق المسالك حره وَقد

فاذا طعنت طعنت في لبدٍ   واذا جـذبت يكاد ينسد

واختلفت جاريتان عند المأمون سوداء وبيضاء، فقالت البيضاء الثلج يصلح للدواء ، وبياض الشمس عجب ، وخير الثياب البيض والبيض أشبه من الفحم • فقالت السوداء : عنبر أشهب وعود القمارى يتعاطى عند العناق لذيذاً ، وفحم الشتاء خير من كما [١] الصيف الباردة ، وعيب الشديد شديد ، والبياض في العين عمى وليلة القدر خير من ألف شهر ، وسواد الشباب تطلبه الغانيات حقاً عجولاً ، وسواد قباب بني العباس أهيب ، وعندنا مجامر الشتاء بساتين الصيف ، ثم أنشدت :

أحب لحبها السود ان حتى   احب لحبها سود الكلاب

وهو لكثير عزة •

وحكى لي من أثق به ان المنصور أغرى بقتل العلويين حتى نفر أكثرهم الى اليمن ، فلما وصلت النوبة الى المأمون — وكان يتوالى محبة أهل البيت — فسأل عمن بقى من أشراف الفاطميين فأخبروه عن قوم منهم بأرض اليمن ، فنفذ اليهم ليستعطفهم ، فأجمعوا رأيهم على ان كل واحد منهم يبعث شخصاً يشبه به من وكيله أو غلامه ، فان كان خيراً فما يضر وان كانت الأخرى فلهم الأسوة من السادات ، فلما وصلوا الى المأمون أكرمهم وأعطاهم

---

(١) الواحدة كماءة نبتة برية تحت الارض •

وتزوجوا وتوطنوا ، فاذا وجدت شريفاً مقبحاً غير ذكي ولا زكي فهو منهم ، أذ هذا البيت المعظم لا تتسلط الفحشاء على منازلهم ، وهو معنى قوله (ع) « نحن أهل بيت طاهر لا نفجر ولا يفجر بنا »

المقالة الثالثة عشرة

وفيه الناموس الاعظم وكشف الحقائق

اعقد على نفسك من كتاب عقد الدور لابن شريح ، وقد كنت لا اقول به ، وجماعة من أصحابنا يقولون به ، وكل مسألة خلاف اذا حكم الحاكم بصحتها زال خلافها .

وتشترط في نسخة اليمين معاني تأول منها الى الفسخ بالتأويل واليمين على نية المستخلف .

واحترز في عقد الوكيل وأعم الالفاظ كلها اطلاق عليك طلاق وكيلي فأنت طالق قبله ثلاثاً .

ولا تمنع أيها الملك قول الحكماء والفتاوى بها ، واذا اخترتها فليكن باطناً وخطوط الشهود والحاكم عندك ، وان ادعى فيه فسلّم اليه ، ولا تسلم الى العامي عنايته فهو جهول باليمين والعناية .

واحذر اليمين بكل ما يتعلق بالله وبكلماته وصفاته ، واختلف العلماء فيما له حرمة غير هذا .

واما اليمين الغموس فانها تذر الديار بلاقع ، وذلك ان يحلف

على ما يعلم كذبه •

واقعد ايها الملك قعود المتأدبين ، وكن قليل الكلام ، اذ لا يصلح الكلام الكثير للملك ولا للزاهد ، وقد يحصل اظهار الفوائد للعلماء بالكلام ، ولا تخطىء المفتين ولكن قابل بعضهم ببعض ، وقد سمعت ما قال عليه السلام : استفت نفسك وان أفتوك فالحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور متشابهات فذر ما يريبك الى ما لا يريبك •

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : من جعل الحلال له قوتاً اجيبت دعوته ، وعملت مروته ، وحسنت سريرته ، وعلت كلمته ، وحصلت امنيته ، وطابت منيته ، وطهرت ذريته ، وتنورت نطفته ورقت دمعته ، وظهرت حكمته ، وقلّ غضبه ، ورق قلبه ، وخف ذنبه •

وقال (ص) : يا علي رد درهم مظلمة أفضل عند الله من أربعة آلاف حجةٍ مقبولة ، يا علي من غضب غضب عليه ، ومن ظلم ظلِم ، ، ومن أكثر من الصدقة نصر في ذريته •

والسر في الحرام هو ان معاد النفوس واحد ومرجعها اليه بعد القبض ، فاذا ظلم بعضها سرى الظلم في كلها ، وهو معنى قوله تعالى « من قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً •

واذا اوصلت الى النفوس براً أو صدقة وخيراً وعدلا واشفاقاً سرى ذلك الى جميع النفوس بعد القبض فصار خيراً ، فاذا وصل بهم كان ذلك خيراً للجميع ، ألا ترى الى قول الرجل لامرأته « بعضك طالق » كيف يسري الطلاق في الكل ، اذ الطلاق لا يتبعض .

وليكن لك أيها الملك امام يؤم بك ، وليكن عالماً ديّناً يعرف بذلك ، وليكن شيخاً أو أعمى .

وعلّم مماليكك خطاً ورموزاً ، فان اتفق ان يكون المعلّم خادماً أو شيخاً فأولى ، وللنساء امرأة ديّنة .

واعلم أيها الملك ان أهل الزمان فاسدون لتشاغل الرجال بالرجال والنساء بالنساء ، وهو أعظم المقت والسخط ، ومنه حصلت الاباحة لبعض الطوائف حتى بسطوا فيه وأقاموا لهم شبهاً فيه نقلية وعقلية .

(اما النقلية) قوله تعالى : « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً » قالوا : هكذا كان الناس على منهج القديم ليس تحليل ولا تحريم ، ولكن الأنبياء حللوا أشياء وحرموا أشياء . وقال تعالى » : « وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة » وقد تعلقوا باباحة أبي بكر لأموال بني حنيفة .

وزعموا ان الخطاب من الرسل إما ان يكون لموجود او لمعدوم فالمعدوم لا يخاطب والموجود هو المخاطب في زمانهم فقد درج معهم ، فمن هذه الشبهة تمسك أرباب الاباحة — مثل البصرية وغيرهم — وسنذكر تعليقاتهم في أماكنها .

وقد عرَّفتك أيها الملك طريقتك النفيسة مثل لبس النظيف والطيب وقلة الكلام ، واذكر جميع الكلام بطريق الاختصار ، وأدب أصحابك أن لا يشكوا منهم قريب أو بعيد ، مثل قول الحكماء ثلاثة ان لم تظلمهم ظلموك : ولدك ، وزوجتك ، والمملوك .

واياك وقرب الملوك ، فان قربوك فتنوك وان أبعدوك احزنوك .

هذه وصايا الملوك ، فان هممت بتحصيله فربما عاوتتك يد السعادة واذا أراد الله شيئاً هيأ أسبابه وحرك القضا بتحرك السبب ، وقد كان الله قادراً على تحصيل الرُّطب لمريم من غير هز ، كما قال في النظم البديع :

ألــم تــرَ ان الله قال لمــريم
وهزي اليك الجذع تساقط الرطب
ولو شاء اجنى الجذع من غير هزها
ولكنما الاشياء تجري لها سبب

فان وقع لك صبّاغ الحجرين من الاحمر والابيض فحصله

ولكن ذلك عنك بعيد ، وبالهمة يفتح عليك بعض هذا الطريق ، فان قلت لا يكون فان جاز ان كان فيجوز أن يكون ، أما سمعت في رموز امير المؤمنين (ع) : « ان في زيبق الرجراج مع الشب المصعَّد لمالاً هيِّناً ، فذو والهم القصيرة يقصرونك عن نيل مقصدك والا فمن طلب وجدَّ وجَدَ » .

ولهذا مثل وهو ان بعض المتصوفة سمع هذا الحديث فقال : سأجرب نفسي في طلب المملكة ، وكان فيه آلة من علمٍ وأدب ، وكان محلاً قابلاً للملك ، فوثب للفراشين فخدم معهم وفشا أمره في السيرة الحميدة ، ثم مات مهتارهم [1] فصار مكانه ، ثم عبث بالديوان حتى انتقل الى مكان رئيسهم ، فلما انتشر شكره وذاع خبره وذكره قبض الوزير ورتب مكانه، فساس الرعية وأظهر العدل وغلق أبواب الظلم واستراح الناس من ثقل ما كانوا فيه حتى مات الملك ، فتصور مكانه وتزوج بابنته .

فاجتهد في التدريج والتطويل وحصِّل وكن على عزم وعزيمة وتحصل فضل آلات الملك ، فها نحن قد صدقناك وعرفناك .

---

(١) المهتار لغة في المهردار وهو عند أرباب السياسة حافظ مهر الوزير أي ختمه والكلمة معربة .

وقـد شاهدت قصة [٢] ابن صبّاح ، اذ تزهّـد تحت حصن (الموت) وكان أهل الحصن يشتهون أن يطالع عليهم فلم يفعل وهو يحصّل المريدين ويعلمهم طريق الارادة والتلمذة وشيئاً من الجدل ، ثم جعل يهذر بكلام على قدر عقولهم ، من جملته ما يقول في قائل « لا اله الا الله » هل هو محق أو غير محق فان قلت محق فيلزمك باليهود والنصارى وان قلت انه غير محق قالوا فلم يتعلق بها ثم جذب الناس وجعل يقول للمريدين : اما ترون الناس كيف قد تركوا الشريعة .

فلما اكثروا العدد خرج اليهم بطريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فصبا اليه خلق عظيم وخرج صاحب القلعة الى الصيد والتلامذة أكثرهم أهل القلعة ، ففتحوا الحصن ودخله وقتل الملك في الصيد وفشا أمره ومذهبه حتى صنّفت في ردهم كتاب قواصم الباطنية ومنتظرهم ، فلابد في آخر الزمان ان يهجروا الشرائع ويبيحوا المحرمات .

فانظر هذا الطرف الذي شرعنا لك أيها الملك وجعلناها لك اشارة وسلّماً تنال بها مقاصدك ، وقد كان عمر بن الخطاب أمر

---

(٢) الحسن بن محمد الصباح داعي الاسماعيلية في القرن الخامس .

الحطيئة [١] ان يجمع حديث عبس وذبيان . ولا بأس بجمع هذه الكتب حتى تتولى ميزان النخوة ، فهذه باع همتك الى اسنا طلبتك واقصاه واعلاه ، وقصص الانبياء تكفيك ان عقلت صبر الأنبياء على نيل المقاصد مع الأعداء حتى فازوا بالنيل .

وقد سمعت حديث داود بن ابشا والد سليمان (ع) وكان صبياً ، فلما حاول عضدته يد السعادة بقتل جالوت حتى تزوج بنت طالوت رياغا .

هكذا سير الملوك ، وانظر في كتاب اسباب يد العارف لابن قتيبة ، ودع عنك النظر في السفر وانظر الشاعر كيف يقول :

لا تأمنن اذا مـا كنت ذا أدبٍ مع الخمول بأن ترقى الى الفلك

بينـا ترى ذهب الابريز مطرحاً

في الارض اذ صار اكليلا على الملك

ألا ترى الحيوان المبهم كيف بالضرب والادب يتعلم الرقص والتطاير .

---

(١) الحطيئة جرول بن اوس مخضرمي أدرك الجاهلية والاسلام كان شاعراً هجاءً ولأجله حبسه عمر في أيامه توفي سنة ٣٠ هـ .

ولما مات هارون استخلف الامين ونفر المأمون الى مدينة أصبهان ومعه الحسن بن سهل ، وكان المأمون ذا فنون وعلوم وآدابٍ ، فقعد في مسجد الجامع وقد فرشه باللبد [١] زهراً والناس يهرعون اليه لتعلم العلوم ، وابن سهل يوميء الى الطوائف ويقول لهم : أليس هذا هو الخليفة حقاً فبايعوه ، ويقول لهم : سنَّة هذا هي سنَّة الأولين الطاهرين . فلم يزل يستدرج الناس حتى حوى عسكره ثمانين ألفاً ، وكانت الأعاجم تسمع بطريق الأمين الفاسد ففروا وطلبوا المأمون حتى عقد الجيوش لطاهر بن الحسين فدخل على الأمين فقتله واستولى المأمون .

فكم من هذه السيِّر المنقولة ، وانما نسمعك بعضها تقوية واعانة لهمتك .

وأولع بكتب الأولين مثل كليلة ودمنة والمغازي وحديث عبدالوهاب ، [٢] ولا يلزمك من سقمها وصحتها . قال الشافعي « مَسقط الرأس مُسقط الاسنان » .

وكن وفيَّ العهد والكلام ، وليكن لك محتسب يحتسب عليك من دارك ثم للمسلمين ، ثم تنظر في مشارع البلد ومصالحة

---

(١) اللبد الصوف .

(٢) هو أحد الحفاظ عند أهل السنة .

الأسعار ، وان كان قد نهى عن التسعير لكنه ليس به بأس ، فقد فسد الناس وقلّت الأمانات كما قد ذكر في كتب الملاحم لرسول الله صلى الله عليه وآله وخطبة البيان فيما يتجدد ويكون .

وللسعادة مبادىء وتناهي ، وقد نقل ان الله تعالى لما بعث نبيه موسى (ع) قيل لأفلاطون ان تلميذك موسى يخاطب علة العلل ، فأمر باحضاره فلما وقف موسى بين يديه قال له : يا بني تزعم انك تخاطب علة العلل ؟ قال : نعم . فقال : فبم قلت هذا ؟ قال : بسهم السعادة . فقال : من أي جهاتك تسمع كلامه ؟ فقال : من جهاتي الستّ . فقال : ان لكل نبي معجزاً فما معجزتك ؟ فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ، فقال بعض الحسدة من الحاضرين : ان عصا سرانديب اذا نقلت الى هذه البلاد تكوّنت حيات . فقال له موسى : خذها اليك فان كان كما تقول فستكون والا فتبطل . فبهت الرجل وبطل ، فقال افلاطون : اتبعوه فانه قد جاء بخرق العادات والسعادات الكلية من الفيض الأول ، ثم يفيض بطريق التجري الى كل محل بما يقبله ، والفيض الأول من العلة الأولى يتناسى بطريق الفيض الوهمي الذي عجزت العقول عن تحصيل كنهه ، والذي صدر عن علة العلل من الفيض الأول هو العقل الفعال الصادر بالكلية عنه ، والنفس الكلية هي التي تفيض النفوس

عنها ، والذي يتجلى للخلق من العقل هو بقدر نزول الشعاع للشمس في النوافذ والدور .

ومثل تجلي العقل للأنبياء كمثل الشمس المحترقة في الأرض الفلاة ، وهي معنى قوله (ع) « خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم رشاً من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن لم يصبه فظلمات بعضها فوق بعض » وهو معنى قوله تعالى « الم نشرح لك صدرك » وقوله تعالى « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نورٍ من ربه » .

وهو النور الذي تجلى لابراهيم (ع) ، كان في بدو أشعته شاهد من نوره بقدر الكواكب ، فلما تجلى لابراهيم (ع) تقوّى جناح همته بطريق المجاهدة وانخرقت له الأنوار القدسية من روية حاله وباطنه وسره وشاهد القمر والشمس ، فلما صفت العلة خلصت الخلة ، وشاهد بمقياس الخط أصل العلة الأولى التي فيها فيض السعادة والحظ ، فقال بسهم السعادة « وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض » فلما وجد انخراق النور الالهي لم يلتفت الى مال ولا ولد ، فنبّهت يد الافتقار له وولده بجعل ذلك غرامة بطريق التصوف لوجود حاله ، فقال في رفض نقصه عند وجود حقه رؤية الكمال : خذ جسدي للنيران ، وولدي للقربان ، ومالي

للضيفان .

فكن أيها الملك على هذه الطريقة والوتيرة حتى ينكشف لك سر الباطن من منتهى الحق ، فتقعد على كرسي طبّ احوال العالمين، فتحس بمقياس الفراسة طريق معرفة الظالم والمظلوم .

واعلم ان القنايا (١) والاموال هي مدّخرة لتحصيل المملكة الدنيوية والأخروية، فاذا صح لك هذا الطريق غلبت بسهم السعادة من عصاك ومنه يحصل لك تسخير الهمم العلوية ، ولا يراد الخلق الا للثواب والثناء والا فما هي الا ارواح سائرة عن أجسادٍ خالية.

وقد ورد في لطائف الحكايات ان الملائكة قال بعضهم لبعض اتخذ ربنا من نطفة ردية خليلاً وقد أعطاه ملكا عظيما جزيلاً ، فأوحى الله الى الملائكة اعمدوا على أزهدكم ورئيسكم ، فوقع الاتفاق على جبرئيل وميكائيل فنزلا الى ابراهيم في يوم جمع غنمه عند راية للحلب ، وكان لابراهيم أربعة آلاف كلب في عنق كل كلب طوق من ورق ومن ذهب أحمر وأربعون الف غنمة حلابة وما شاء الله من الخيل والجمال ، فوقف الملكان في طرفي الجمع فقال أحدهما بلذاذة صوتٍ « سبُوح قدوس » فجاوبه الثاني « ربُّ الملائكة والروح » فقال أعيداها فلكما نصف مالي ، ثم

(١) ما يقتنى من المال .

قال أعيداها ولكما مالي وولدي وجسدي، فنادت ملائكة السموات هذا هو الكريم هذا هو الكريم ، فسمعوا منادياً من العرش يقول: الخليل موافق لخليله .

وكن أيها الملك غير مبال لوجود المال وعدمه اذا سلمت لك نفس رياستك وقلة مملكتك ، وانتذكر حكاية الكرم في مواضعها من كتاب السلسبيل وكتاب احياء علوم الدين ، واذا أردت اقتفاء آثار السابقين فقد ذكر في كتاب فتوح سيف الدين الكوفي ان أهل الشام لما ثقلهم الحصار قالوا لا نسلّم البلاد الا لأمير المؤمنين عمر ، فلما علم ذلك حصل فرساً وحماراً فقال له كبار أهل المدينة المملكة بناموسها ، فأجابهم ان المملكة يعطيها صاحب السماء فصفوا خواطركم وعلوا هممكم لتبصروا السعادة بمقاييس الأنوار وراء الأفلاك ، ثم سار الى الشام فاتفق له بأن وقع به الحمار في غدير ماء متغيّر وحماءة فابتلّت مرقعته وكانت نوبته ، فعرضوا عليه ركوب الفرس فأبى فقالوا : قد اقبلت العساكر والرهابين لتسلّم عليك فغيّر ما عليك ، فلم يلتفت حتى أقبل عليه جملة الشاميين بنواميسهم وقعاقعهم (١)، فلما رأوه في تلك الحالة فقالوا : ءأنت عمر ولك نسلّم ولك نطيع وندين كما قال لنا المسيح اذا وصلكم

(١) القعاقع الكثير الصوت .

صاحب المرقعة المبلولة بالماء والطين الرابي فسلموا اليه ، فهذا خبر سر معارف رسول الله (ص) كيف صفى ووفى فعرَّفه سر ما كان ويكون .

ومن تلك الانوار اعتصر الناس ملاحم رسول الله (ص) من قمر النبوة الذي هو أخوه وشريكه في نوره اعتصرو كتباً مثل الجفر والجامعة، وكتاب خطبة البيان التي هي حاوية على أكثر ما يكون في آخر الزمان . وان طلب أحد الهدنة فهادنه ان كان مسلماً ، وان كان كافراً وقدرت عليه فلا تهادن كيلا تفوت الفرصة ، فانه ان ظفر بك بعدها لا تربح منه صلاحاً . وليكن محل الهدنة الى أمدٍ معلوم واقلها أربعة اشهر ، فاذا مات احد المتهادنين اصاب الثاني كموت بعض المتمادين ، فان صفت همتك وكانت روحانية لها مجانسة في الملكوت الأعلى وعلو همة ظاهرة فخط طريقة صالحة من تثليث او تسديس من منجم ناظر اليك لا الى سواك وتجز له ، فان تونست به صار لك وزيراً .

والأصل في النجوم هو علو الهمة وتزكية النفس وتقليل المآكل والانقطاع في الخلوة، ودوام الذكر حتى ينخرق لك من روزنة الغيب من عالم الباطن أنوار المكاشفة ، فتصير للاملاك والافلاك حديثاً تغلب لاهوتك على ناسوتك ، فتصير زيتاً لمصباح مشكاة

الأنوار الالهية كما قيل :

ثقلت زجاجات أتتنـا فرَّغاً حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفّت وكادت أن تطير بما حوت وكذا الجسوم تخف بالارواح

واذا حصل لك خير السعادة من العلة التي هي مبدأ كل علة بطريق المجاهدة في تحصيلها افرغت عليك أنوار المحبة ، فصار الخلق لك طائعين ولا سيف بينهم بل ببسط باع فيهم كما كتب بعض الملوك على درع له :

عليَّ درع تلين المرهفات لـه من الشجاعة لا من نسج داود
وانني فيـه أمـر الله صيّرني نار من البأس في بحر من الجود

فان انسد عليك باب المجاهدة وغلّقت ورأيت باب الطلب مسدوداً فلا ترض بالمناقضة بل تميل الى الزهد ، فان الناس رجلان ناسك ومالك ، كمـا تمثل عمر بن عبدالعزيز ببيت الفرزدق استشهاداً به :

اما ذباباً فلا تعبأ بمنقصـةٍ او قمة الرأس واحذر ان تقع وسطا

ومثلها قول امير المؤمنين صلوات الله عليه :

اذا ما لـم تكن ملكاً مطاعاً كما ترضى فكن عبداً مطيعاً
فان لم تملك الدنيـا جميعاً كمـا تختار فاتركها جميعاً
هما شيئان من نسك وملكٍ ينيـلان الفتى شرفاً رفيعاً

اذا ما المرء عاش لكل شيءٍ   سوى هذين عاش به وضيعاً

كتب معاوية الى ابنه يزيد « ان فاتك يا بني الملك فلا يفوتنك المحراب » .

وبهذا الطريق نال الناس مطالبهم حتى رأينا الملوك متقاطرين على باب الزهاد ، ولهذا قال القشيري :

اذا ما الفقير بباب الامير   فبئس الامير وبئس الفقير

واما الامير بباب الفقير   فنعم الامير ونعم الفقير

واعلم انه اذا حصلت القلوب بمعرفة صمديتها وانكشف لها نور الجلال بالبراهين الباطنة وحصلت التحلية والتصفية كوشف بالعالم العلوي والأخروي وعلم سر معانيها ، فهو الذي كوشف بمعرفة الكيمياء الاكبر فتصير الملائكة له خداماً فيشاهد أساور الجنة وأسرّتها ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كيف أصبحت يا حارث ؟ قال : اصبحت بالله مؤمناً حقاً . فقال عليه السلام : ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك ؟ فقال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها ومدرها ، وكأني بأهل الجنة في الجنة يتزاورون وبأهل النار في النار يتعاوون ، وكأني بعرش ربي بارز . فقال عليه السلام : مؤمن نوّر الله قلبه .

الآن وقد عرفت فالزم . وأقسم عمرك واىامك ودهرك أثلاثاً

ثلثاً لنفسك ، وثلثاً لرعيتك ، وثلثاً لربك .

واعلم ان الناس بك لائذون لطلب منافعهم ، وكل أحد يريدك لنفسه الا الله فانه يريدك لك ، فكن معه ولازمه ، ولا تستهويك الأماني فالظل لابد ان يزول ولو عمرت ما عاش آدم .

أخبرني استاذي الجونبي عن مشايخه قيل لمحمود بن بويه : كيف عمدت الى طلب المملكة ولم تكن لها أهلاً :فقال : سمعت امرأة تنقر دفاً وتقول بيتاً لعمر بن سبطي :

من هاب خاب ومن جسر بلغ المنا
والدهر فيه عذوبة وعذاب

فحملني ذلك على طلبها فطلبتها ونلتها ، وقد تحالى (١) المتنبي حيث قال :

فثب واثقاً بالله وثبة حازم
يرى الموت في الهيجا جنى النحل في الفم

وانظر الى علو همة الحلاج وان كان قد قال الحاسدون فيه ورجموه بالحلول ، أليس تلقى الموت غير خائف ونضح ظاهره بما اعمى جهلتهم ، حتى قيل لأبي العباس بن شريح ، ما تقول

---

(١) من المحالة الحذق ودقة التصرف في الكلام .

في الحلاج (٢) ؟ قال : ما أقول في رجل هو أفقه مني في الفقه وفي الحقيقة ، ما أفهم ما يقول : فقيل له : ما سمعت منه في جملة ما سمعت ؟ قال : سمعت في بعض كلامه وهو يشير الينا : من حضر يطلب شهادته ومن غاب صحت مرواته ، سكران الحقيقة كيف يحس بدمدمة المحشر ، أما يشتغل بكشف تجلية أسرار محبوبه وأنوار مشاهدته .

وفي مثل هذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « حسنات الأبرار سيئات المقربين » لانهم واقفون مع صف التجلي ، فمالهم والندم على ما كان والخوف مما يكون ، صفيت أحوالهم في زوارق المجاهدة فامتنعوا بطريق الدلال عن الالتفات الى غيره ، فطاروا بأجنحة علومهم المجموعة في المجاهدة والتصفية والتزكية ، فخرقوا حجاب الناسوت حتى وصلوا اليه ، ضاقت بهم العبدية فخرجوا عن حيز العالمين فمزجت الناسوتية بصفات اللاهوتيـة ، فعادت

---

(٢) هو الحسين بن المنصور الواسطي العارف من مشايخ الصوفية ولهم فيه مبالغات عجيبة وغلو فاحش ولكنه عند الاكثر مذموم فاسد العقيدة لما نقل عنه من الشعوذة والحيل وجاء في غيبة الشيخ التوقيع الصادر من الناحية المقدسة مما يدل على سوء حاله قتل مثلةً ببغداد سنة ٣٠٩ هـ واحرقت جثته .

النفوس الطاهرة الى معادنها ، وهبّت عليهم نسمات واجب الوجود فحلوا في خيام الراحة بعد البعث في مقعد صدق عند مليك مقتدر، كما قال السكران من العشق :

انمـا الحب فنـاء كـله　　رحمَ الله فتىً قال بـه
إن من أضحى بقلبي ساكناً　　لم يذر منه سوى قالبـه
في ظلال الشوق قلبي راقد　　من هجير الهجر قد قال به

فان لم تكن أيها الملك طالباً لا بهمة علوية ولا بيد باسطة سبعية فأنت كما قيل :

اذا كنتَ لا ترجى لدفع ملمةٍ　　ولا لذوي الحاجات عندك مطمع
ولا أنت ذو جاهٍ يُعاش بجاهه　　ولا أنت يوم الحشر ممن يشفع
فعيشك في الدنيا وموتك واحد　　وعود خـلال من حياتك أنفع

ومثـله :

كتب القتـل والقتال علينا　　وعلى الغانيات جرّ الذيول

وقد مر بك شعر آخر :

ان لم يكنِ بدٌّ من الموت فمت　　تحت ظـلال الاسل الذوابل

وكن آخذاً بقلوب الناس بكتب وهدايا ، واستجلاب مودات الكبار ، والخدمة للأخيار ، واكرام العلماء ، ومداراة أحوال الناس ، وسد خللهم والصفح عن زلاتهم .

وانظر كيف أدبك المصطفى عليه السلام حيث قال : «امرت أن أعفو عمن ظلمني ، وأصل من قطعني ، واعطي من حرمني ، وأن اجعل سكوتي فكرة وكلامي عبرة » .

وان أردت الجواب فلا تعجل ، واستعرض كلام الرسل متفرقين غير مجتمعين ، واعط الجواب على تؤدة ، وأرض الرسل ينبسط ثناؤك ، فقد قيل انه لما دخل حكيم العرب على كسرى أجزل له العطاء فلامه بعض الكبار فقال : الملك مملكة وجمع ولؤم داءان ودواء فالغلبة للاكثر .

واتعظ بقول الله تعالى « وتلك الأيام نداولها بين الناس » فهكذا قد انتقلت من سواك اليك وستنتقل منك الى سواك ، وانظر الى الأمثال المضروبة في شعر امير المؤمنين عليه السلام :

الناس في زمن الاقبال كالشجرة
وحولها الناس ما دامت لها ثمرة

حتى اذا ما عرت من حملها انصرفوا
عنها عقوقاً وقد كانوا بها بررة

وحاولوا قطعها من بعد ما شفقوا
دهراً عليها من الأرياح والغبرة

قلت مروات أهـــل الارض كلّهم

الا الأقــلّ فليس العشر من عشرة

لا تحمـــدن امرءاً حتى تجربه　　　فربمـــا لم يوافق خبره خبره

واصطف لك من الناس من تركوه ، فقد اصطفى الله من الناس رسلاً ومن الملائكة والله أعلم حيث يجعل رسالته .

واذا عزمت على دخول الحمام فالأفضل يوم الاربعاء ، ففي الأثر « من دخل أربعين أربعاء الحمام أمن من الفقر » .

واخل ليلة الخميس والجمعة لطلب حاجاتك من الله الكريم ، ففيها بلغ الأنبياء والعلماء وأرباب المقاصد والرياسة :

وكان ما كان مما لست أذكره　　　فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وفي يوم الجمعة ساعة من أدركها بلغ حاجته ، فقد قيل هي هي أول النهار ، وقيل وسطه ، وقيل آخره . وهكذا نقل عن فاطمة الزهراء صلوات الله عليها انها كانت تترك جاريةً لها لتعرفها غروب الشمس من يوم الجمعة . واقرأ فيها سورة الانعام ، ولا تكلم فيها أحداً ، فاذا وصلت الى قوله تعالى « رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته » فاسأل ، لأن الله ما ردّ قسم من أقسم عليه بين النّبيين .

وكل من الأنبياء كان له خاصية في يومه ، مثل السبت لموسى

والأحد لعيسى، والاثنين لابراهيم ، وفي يوم الثلاثاء جاءت البشارات لنوح (ع) بالنصرة ، وفي يوم الاربعاء انتصر زرادشت [١] على أهل ارمينية ، وكان الخميس والجمعة لرسول الله (ص) .

وقد قال المنجمون في أيام الاسبوع ما قالوا وجعلوا لكل كوكب يوماً : فالسبت عندهم لزحل ، والاحد للشمس ، والاثنين للقمر ، والثلاثاء للمريخ ، والاربعاء للعطارد ، والخميس للمشتري والجمعة للزهرة .

وقد ذكر الجمهور منهم ان طالع رسول الله (ص) تولده الزهرة ، وهم لم يطلعوا على الاسرار ونحن نكشف نبذاً من ذلك فنقول : بأن موسى دعا الى المغرب لتحكيم زحل في تلك الجهة ، وقبلة عيسى الى المشرق نحو الشمس ، وقبلة نبينا محمد (ص) الى جهة الكعبة . وهذا سر لم يطلع عليه أحد الا من شاء الله ، وذلك انه اذا قام مستقبل القبلة الحرام كان سهم زحل يميناً وسهم الشمس شمالاً والجدي في مقابلة وسط الكتفين والنسر الطائر وسعد بلغ في الجهة العلوية ، فتم مع السعادة ما تم فأصيب بسهم السعادة ما لم يصبه أحد سواه ، فبلغت حجته وعلت كلمته ودامت دولته وسعدت امته وعضدت شريعته ، فنصرها الترك من المشرق

---

(١) يعرف بنبي المجوس وللفرس الاقدمين فيه آراء وأقوال .

وأهل المغرب حتى بلغ انهم آمنوا لا بالسيف بل بالكتب « أوائل الركب مالي منهم خبر » وهكذا البيت الثاني ٠

واسمع قصة عيسى (ع) مع جالينوس ملك الساحل وطبيبهم حين نفذ الى عيسى انا لا نطلب منك احياء الموتى بل هذا الرجل المسلول اشفه لنا في هذا الشهر كانون وأنا أؤمن بك ٠ قال المسيح: ائتوني ببطيخة الحما فسقاه منها ، فتقيىء الرجل شيئا أسوداً على هيئة الخبز المحروق ، فقام بقدرة الله تعالى سليماً لا مرض به ٠ ثم قال عيسى (ع) : يهددني جالينوس ، ثم دخل هيكل العبادة فما انتصف الليل الا وثار على جالينوس علة اساطوريا والكراثية فمات بها قبل الصبح ٠

وحدثني يوسف بن علي بأرض الهرماس [١] التي بنبات أرضها خواص عظيمة نذكر نبذاً منها في أماكن من هذا الكتاب وشيئاً في كتاب السلسبيل ٠ قال يوسف شيخ الاسلام : دخلت المعرة في زمان المعرى وقد وشى به الوزير الى الملك محمود بن صالح

(١) الهرماس : موضع بالمعرة ، والمعرة موضعان : أحدهما معرة مصرين وهي بليدة وكورة بنواحي حلب ، ومعرة النعمان بنابلس ، وهي مدينة كبيرة بين حلب وحماة بها زيتون وتين وفستق كثيرة ومنها كان أبو العلاء المعري صاحب القصة ٠

وقال : ان المعرّي رجل برهمني لا يرى افساد الصورة وأكل الحيوان ، وانه يزعم ان الرسالة تحصل بصفاء الصقل ، ولم يزل الوزير جاهداً حتى حمل الملك على احضار الشيخ ابي العلاء المعري فأنفذ وراءه خمسين فارسا ، فدخل الى الشيخ رجلان من أصحابه وأعلماه بالقصة ، فدخل المعري المسجد وانزل الفرسان في دار الضيافة ، فدخل مسلم عم المعري على الشيخ وقال : يابن أخي قد نزلت بنا حادثة يطلبك الملك فان مانعنا عنك عجزنا وان سلمناك كنا عاراً عند ذوي الذمّام وتكون الذمام على آل تنوخ [٢] . فقال المعري : خفف عنك غمي وأكرم اضيافك فلي سلطان يذب عني ويحامي عمن هو في حماه ، ثم قال الشيخ لغلامه قنبر : قدّم الماء . فقدمه اليه واغتسل به ، فلم يزل يصلي حتى انتصف الليل ومر أكثره ثم قال لغلامه : اين المريخ ؟ فقال : هو في منزل كذا وكذا . فقال : ارقبه واضرب وتداً تحته واعقد خيطاً في يدي متصلا بالوتد ففعل به ذلك فسمعناه يقول : يا علة العلل ، يا قديم الأزل ، يا صانع المصنوعات ، أنا في حماك الذي لا يضام . ثم جعل يقول : « الوزير الوزير » حتى برق بارق الصبح ، فسمعنا هدةً عظيمة

---

(٢) التنوخيون بيت مشهور في بغداد في القرن الرابع والخامس ومنهم القاضي المحسّن التنوخي صاحب (الفرج بعد الشدة) .

فسألنا عنها فقيل هي دار الضيافة وقعت على ثمانية واربعين رجلاً وعند طلوع الشمس جاءنا كتاب الطائر يقول فيه : لا تزعجوا الشيخ فقد وقع الحمام على الوزير . ثم التفت الشيخ الي وقال : من أي أرض أنت ؟ فقلت : من أرض الله تعالى . فقال : أنت من أرض الهرماس أنت يوسف بن علي حملوك على قتلي وزعموا اني زنديق وكان حجتنا بالشام ، ثم قال لي : اكتب على صفة الحالة :

باتوا وحتفي أمـاني لنيتهـم — وبت لم يحضروا مني على بال
وفوقوا الى اشارات سهامهم — فأصبحت وقّعاً مني بأميـال
فما ظنونك ان جنـدي ملائكة — وجندهم بين طوّاف وحجال
لقيتهم بعصا موسى التي منعت — فرعون ملكاً ونجّت آل اسرال
اقيم خمسين صوم الدهر آلفه — وادمن الذكر ابكاراً وآصال
عيدين أفطر في عامي اذا حضرا — عيد الاضاحي ويقفوا عيدشوال
اذا تنافست الجلاس في حلل — رأيت لي من خسيس القطن سربال
لا اكلُ الحيوان الدهر مأثرة — أخاف من سوء أعمالي وآمالي
وكيف أقرب طعم الشهد وهو كذا — غصب لمكسب نجل [1] ذات أطفال

---

(١) النجل في اللغة من الاضداد بمعنى الوالد والمولود معاً وهنا بمعنى الوالدة أي امرأة ذات أطفال .

نهيتهم عن حرام الشــرع كلهم   ويأمروني بترك المنزل العالي
وأعبــد الله لا أرجو مثوبتــه   لكن تعبّـــد اكرام واجــلال
اصون ديني عن جعــل اؤمله   اذا تعبّـــد أقوام بأحبــال

فاذا كنت أيها الملك على هذا الوصف بلغت المقاصد ووصلت الى المشرب الهنيىء ونكبت لأعدائك وتصير مثل دعاء القلنسوة والنجاشي ، وربما تكون أنت الملك السفياني فتح لك الحصون من غير تعب ، يجود بك الذرع والضرع والزرع اذ الناس بالمال ، وربما تسعد بهذه الحالات كما سعد الاسكندر ، فما قد كان يجوز أن يكون .

وقد قال في خطبة البيان : لابد من ظهور ملك عادل زاهد خائف يمهد البلاد ويحسن الى العباد ، وهذا بعد ثلاث وسبعين بما شاء الله .

وهذه الخواطر الربانية كيف ظهرت فراستها في كشف الامور المغيبة ، فاذا رق حجاب القلب يرتفع السد فيتبين لك ما في اللوح المحفوظ فتخبر بما في عالم الغيب من غير ريب ، والله عالم الغيب يعلمه من يشاء ، والملوك تودع سرها عند من تحبه وتختاره ، وقد سمعت حكاية أياز مع سلطان محمود .

فاتنبه أيها الملك لهذه النكت والاشارات ، وقد نصحت لكم

ان كنتم تحبون الناصحين ، والملك بالعلمـــاء أليق من الفجرة الفاسقين ، ولكن ليقض الله أمراً كان مفعولاً ، ولابد للارض من ناصرٍ ووارث يورثها من يشاء من عباده .



بسم الله الرحمن الرحيم

واعلم ان الناموس هو مفتقر اليه في بعض الأحيان كالدواء لكن نكشف شرح مشقة الاحوال عند العوام ، فان صاحب الشرع خاطب الناس على قدر عقولهم ، والمنزه ذكره خاطب كل أحد بما يستحقه ويعقله ، فلقوم « ولـدان مخلدون » ولقوم « سدر مخضود وطلح منضود » ولأرباب الهمم العالية « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » والمنشد قد نبه في نظمه :

اما ذباباً فلا تعبأ بمنقصةٍ

او قمة الرأس واحذر ان تقع وسطا

واعلم ان الزمان حبيب أهله ، فطائفة تخترع لها مذهباً في الناموس بطريق الزهد كالسبح والمرقعات وجلود الغنم والبرانس واذان الليل والانقطاع في الكهفان ، وكبر الامور بحيث ان يقول لصاحبه اذهب ففي الموضع الفلاني كذا وكذا .

وطائفة تظهر النور ، واخرى تقعد بين القبور ، وتعرض الخزعبلات والنيرنجيات بمعرض الكرامات ، مثل دهن الأقدام والخوض في النار واظهار الخرق من سمندل الصين التي يذهب وسخها النار

واظهار الخفف ومد الشعبذة وضرب طلسم على النعل فيعبر الماء ، ووقوف السجادة في الهواء ، وشعلة القناديل واشعال السراج بالماء دون الدهن ، وكثير من ذلك لا عدد لها •

والفرق بين المعجزة والسحر والكرامة هو دوام الشيء واظهاره للناس كالقرآن المجيد ، فهو المعجز الاكبر والناموس الأعظم ، فلا تطلى على الملك حالات المهرجين •

واما أرباب الكرامات والمكاشفات فهم الذين استخدموا وخدموا واستعملوا وعملوا ، فكشف لهم العمل سد الغفلة ، وضرب جهة الذكر ما في الألسنة القلبية فأزال زرقتها وسوادها •

الجزء الثاني
من سر العالمين
المقالة الرابعة عشرة
فى الحقيقة

بسم الله الرحمن الرحيم

واعلم انما عقيب المجاهدة وقعت المشاهدة فتنورت القلوب بنور الصدق والتصديق ، فهامت النفوس المقدسة في مهامه المروج الصمدية ، وانكشف سر اللوح المحفوظ من دار الديمومية ، وطهرت الخواطر الصافية عن الأجسام الرذلة المعلولة ، فأفرغت في قالب كمال الوجود وافقت [١] من صحبة أهل الجود ، وبزغت لهم أقمار الحقائق من فلك الطرائق ، فكان باب بدو البداية رؤية كوكب ضعيف ، ثم انبسط النور الرباني من نقش عرش الايمان ، فصار قمراً ابراهيمياً ، ثم انبجست عيون المحبة الربانية عن فيض شمس الحقيقة البرهانية ، ثم رقى القلب الصادق الصافي الوافي على براق علو الهمة فصادفت فلكاً وملكاً ، ثم صفقت أجنحة الاشتياق فصادفت عقار المحبة ممزوجاً بمياه الخوف الخوف ، فشربت لما قربت وطربت وتقربت

---

(١) أفِق الرجل أفقاً بلغ النهاية في العلم او في الكرم .

وشقت ثياب البشرية والتحقت به بالكلية وأنشدت في سكرها :

ولقد خلعت على العواذل سلوتي

وحلفت بالحرمين لا أنساكم

ففتحت أبواب مجالس الطرب ونادى العاشق الصادق من عظيم الويل والحرب ، أعجز عن حمل حلاوة الخلوة فنادى بين شوارع دروب الكروب :

بالله ربكما عوجاً على سكني وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في حديثكما ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفة ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما من مالكي غضب فغالطاه وقولا ليس تعرفه

فاذا شوهد منه ضعف الحمل أماتته يد القدرة عن تحمل التثبيت فهو معروف في البداية بالجنون وفي النهاية بالفنون ، فتراه في حال بدايته يتشبب بالنغمات والسماع ، ان اتخذه دأبه وعادته صرف وجهه عن الباب فضرب بينهم بسور له باب ، وان جعل ذلك جسراً يجوز به من العلم الاصغر الى العلم الاكبر وهو علم المعارف ، فيدخل في حالات العاشقين ومقامات الصادقين ، فيقيل تحت أشجار الحكم اللاهوتية عند رب العالمين ، فتنكسر زجاجات جسمانيته ويدور به دولاب سعادته ، فأول مقامه اظهار كرامته ، فاذا رأى أحداً من أحبائه وضع خده تحت نعله وترابه ، كما نقل في

الحكايات المجنونية في ليلى العامرية انه رأي على كتفه كلب يطعمه ويسقيه وقيل له في ذلك فقال : رأيته يحرس باب ليلى ، ثم أنشد حين تأوه :

رأى المجنون في الفلوات كلباً فضم اليـه بالاحسان ذيلاً
فلاموه على ما كـان منـه وقالوا الم منحت الكلب نيلا
فقـال ذروا ملامـكم فعيني رأتـه مـرة في باب ليـلى

وهذا يعضده ما روى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قيل له : ألا تصلي على فلان وقد مات ؟ فقال : لا اصلي على من لم يصلِّ . فقال عمر : أنا رأيته يصلي ركعتي العيد . فقال عليه السلام : كيف أصلي على من لم يصل الا نافلة ، فجاءه جبرئيل عليه السلام أمين الحضرة وقال له عن رب العزة : يا محمد أليس رأوه في بابنا مرة فاذا رددته من بابي فبباب من يقف ، يا محمد اني قد غفرت له فصلّت عليه ملائكتي ان الله لغني عن العالمين .

واما المواعظ التي تجلب بها قلوب الناس الى طاعة الملك .

فأنا قد عرفناك بطرق ثلاثة داعية الى الملك ، وها نحن نعرفك بطريقة أخرى فنقول : يا أيها المعتب القائل من فلان حتى يثبت على الملك ، أبماله وآله وملكه ومقاله وأبيه وأمه ، فنقول له :

من كان نمرود بن كنعان ، وعاد صاحب الجنان ، وادريس مخيط الخيام ، ونوح نجار للأنام ، وابراهيم راعي الضأن ، وداود زراد وطالوت دباغ ، وصالح تاجر ، وسليمان خواص ، وعيسى سراج ، وآدم حراث ؟ أما تتعظ بقوله تعالى « تؤتي الملك من تشاء » •

واعلم انه لابد لك من ملك تقتدي وتميل اليه ، فللحيوان أمير ومقدم كالنحل والنمل وغيره ، ان فهمت بآذان العقل فكن أطوع من ضيف والا هامتك والسيف ، أما سمعت قول المشرع عليه السلام : « أطيعوا أميركم ولو كان عبداً حبشياً » وقال الله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامرمنكم » •

فان فهمت المواعظ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا تشابكوا المساعيد فاني سيدهم » •

فان عربد الجهل فانظر الى البازي والعقاب والنسر والذباب كما نظمه ذوو الالباب :

يا طالب الرزق السني بقـوة هيهات أنت بباطـل مشغوف
رعت النسور بقوة جيف الفلا ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

وأنت أيها العاقل لا تشابك الزمان والدول ، ولا تفتتن بما جرى للقوم الاول ، واذا سمعت بالمرتاضين فكن بهم ملما ، فان خواص أنفاس القوم فيها جذب مقناطيسي ، أما سمعت بذي القرنين لما

سمع بأرباب الهمم الهندية وهم أربعون رجلا اتخذ لهم ماازعجهم وفرق هممهم مثل زعجة الطبول والابواق فتفرقت هممهم فداسهم

وانظر الى المعاني التي أودعناها في كتاب الملك ، فانها كافية ، واستزد من الاشارات ، ولا تكذب الكلمات فانها خوات المعجزات

واعلم انه لا يستقيم جسم من غير رأس ، ولا سماء من غير شمس ، ولا تحسن أرض من غير عمارة وفلاحة وتجارة وموت وحياة وغنى وفقير وملك وسياسة وامارة ووزارة،فالامور منظومة بعضها ببعض كما سنبين لك فيما بعد .

المقالة الخامسة عشرة
فى قطع الدليل المستدل

ما أحد منكم يا معاشر المناظرين الا وقد تمسك بدليل يصلح في عقده أن يكون دليلا ، فيعارضه مناظره بما يناقضه ، والمنقوض كيف يكون دليلا ، والناقض اذا نقض بغيره فقد دخلته العلة فبطل عن منهج الدليل وعارضته العلة بالنقض ، فصار كل دليل مزلزلا معلولا غير مقطوع ، فان كان منقولا أو معقولا وعارضه النقض فقد بطل حكمه أو قوله . فان قلت بطل قوله فقد هدرت الشرع، لأن الحكم والقول تابعان ، وان قلت بطل حكمه فقد بطل العمل

به وان قلت بطل حكمه وقوله معاً فاين آثار فقه المستدل ، وان كان دليلك معقولا قياسا فكيف يستند بالقياس الى منقول منقوض وان كان غير قياس فكيف يمشي به السؤال ، فبطل الكلام في النظر

واذا علمت ان كلامك مدخل تحت العلة والمعلول فما العلة التي تنفصل عن المعلول وما هي العلة غير المنفصلة عن المعلول ، فان كانت العلة غير منفصلة عن المعلول فكيف يجوز أن يكون دليلا ، وان كانت داخلة في المعلول فاما أن تكون جنسية أو غيرها فان قلت انها غيرها فأين الدليل لتبيان القول ، وان قلت بأنها جنسية فكيف تأتي بعد مبين من غير نتيجة بأنها علة ومعلول .

وكل من فقهت نفسه لشيء فهو فقيه ، فكيف خص الفقه واين آثار التخصيص به والدليل المقطوع له ، وما النظر ، وما معنى المناظرة والمحاورة : فان قلت المحاورة هو زوال الاشكال من الحجة بطريق التبيين — كما يقال في التبعيض ان فلانا أعرب حين بيّن عن فلان بعض قصيدته ورسالته — فأين آثار تبيين حجتك اذا قطع الدليل والبرهان ، وان قلت الجدل المشابكة أو كجدْل الجبل حين حاست بعضه ببعض ، فما ينفعك هذه المقالة اللغوية واللغطات الاصطلاحية اذا كان متن دليلك مقطوعا بالنقض والعلة الداخلة عليه من الخصوم ، فلابد من جواب ، فجد بفهم الخاطر فما هذا

مقام أو مثال يحتمل المغالطة والمدافعة ، فان كان جوابك من غير السؤال فهو مداخلة ضعيفة به ، وان كان من نفس المسألة فلابد من برهان قاطع غير منقوض ، فالمنقوض معلول لا يصلح ان يكون جوابا .

واذا سئلت عن الحجة والمعرفة بالشيء ، فاما ان يـــكون معرفتك برهان قاطع نقلا أو عقلا غير منقوض فمشبه وكن به مستدلا ، فالمعرفة بالشيء اما بنفسه أو بغيره ، فان كان بنفسه فهو البرهان المقطوع به اذا لم يكن سبيل البعض داخلا عليه ، فالبراهين التصديقية كان برهانها تصديقها ، مثل ما تقول : « هذا رجل » فلا تفتقر ان تبرهنه « وهذا الليل أو النهار أو عشرة اكثر من خمسة » فهذا لا يطرد عليه معنى في بعض ولا ينعكس ، لان تصديقه ينقسم ولا يفتقر الى برهان ، فأت بدليل على هذا المعنى فقد علمت ان هذه العلة لا تفارق معلولها وان المعلل لايكون لجهل أو الافحام أو قبح ، وانما يكون براهين تصديقية أو براهين معلولة أو منقولة غير منقوضة ، فاذا دخل النقض أزال حــكم الدليل . فهذا معنى قولنا قطع الدليل .

ثم تستدلون باخبار الآحاد والمراسيل وقد علمتم بالملزم فيها من الطعن والتشكيك ، ثم المتواتر بنفسه عندكم فهو دليل ، ولا

تعتبرون فيه العلم اذ همكم انما هو قعاقع (١) وخصومات واظهار مناقشات في رياسات ، والباحث عن اظهار الحق قليل .

المقالة السادسة عشرة
فى كتاب الطهارة واسبابها

اعلم ان الطهارة فرض ظاهراً وباطنا .

(فأما الباطن) فطهارة القلب من كل شيء سوى الله ، فاذا وجدت من القلب هذه الطهارة الصافية الكاملة صار القلب محلا للفيض الرباني ، والعلوم اللدنية الالهية ، وكشف اغطية اسرار عن نير نهار القدس ، فانبجست عيون الكرامات وترقى العقول من حضيض الشهوات الى سماء حسن الظن ، ثم يتقوى حاله فيرقى الى سماء اليقين ، ثم الى سماء العلم ، ثم الى سماء الكشف ، ثم سماء الخاصة ومعارفها ، ثم الى سماء كشف أسرار الربوبية ، ثم يترقى العقل الجوهر الكامل الى كرسي المراقبة ، ثم الى عرش حضرة القدس ، ثم تقدم له موائد فوائد تحفها المحبة فيشرق أنوارها على هياكل الطباع المظلمة ، ويجري قلم التوحيد فوق لوح التمجيد بطريق التأييد فنهم شقي وسعيد .

---

(١) القعقعة بمعنى الجدل .

واذا كشفت لك هذه المملكة الباطنية لم تلتفت الى الموت فان الموت هو جامع بين الاحباب ومفرق للطباع المتنافرات ، « فتمنوا الموت ان كنتم صادقين » وقد سمعت النظم فيه :

سهل عليك الذي تلقاه من ألم ان كان شملك بالاحباب يجتمع

فاذا طلعت عليك كاسات الوصال في دار التخليد وهبت نسمات النسيم ونادى مناد التقديم «وفي ذلك فليتنافس المتنافسون» فعند ذلك يصير روحك ملكا يضيىء ولم تمسسه نار .

واعلم ان الله تعالى خلق الحيوان وصنفهم ثلاثة أصناف : فطائفة عقل مجرد بغير شهوة وهم الملائكة ، وطائفة شهوة بلا عقل وهي البهائم ، وطائفة عقل وشهوة وهم بنو آدم . فمن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة ، ومن غلبت شهوته عقله التحق بالبهائم — فاستقم كما أمرت .

(ثم نعود الى الطهارة الظاهرة) قدم الماء الطاهر في الاناء المخمر واغسل يديك قبل الوضوء ثلاثا ، واستقبل بوضوئك القبلة ، وكن على نشر خوف النضح ، وعليك بالتسمية والسواك والنية في مبدء الفرض ، اذ الاعمال بالنيات .

وفرض الوضوء ستة : النية عند غسل الوجه ثم غسل الوجه ثم غسل اليدين الى المرفقين ، ومسح القبل من

الرأس ، وغسل الرجلين مع الكعبين ، ثم الترتيب في الموالاة في أصح الوجهين •

ثم غسل الحيض والجنابة بوضوء وغسل ثلاثا ثلاثا ونيته ونية غسل الجنابة أو الحيض •

ثم مناقض الوضوءوهو النوم قاعداً متمكنا ، ثم زوال العقل بأي فن كان ، ثم لمس الرجل المرأة ولا حائل بينهما ، وينتقض طهر اللامس دون الملموس في أصح الوجهين ، ولمس الفرج •

ثم آداب دخول القدم [1] تقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى في الخـروج ، ولا يستدبر ولا يستقبل القبـلة ولا الشمس والقمر الا من وراء ستر وحائل ، وينحى ما عليه اسم الله من عليه ، ويجوز الاستنجاء بكل طاهر الا ماله حرمة كالمطعم وغيره ، ولا يجوز الاستنجاء بعظم أو جارح أو بما يؤذي المحل ، فقد قال صلى الله عليه وآله «لاتستنجو بالعظم فانه طعام اخوانكم الشياطين فان الله يكسوه لحما فيأكلوه » •

والافضل ان يعقب الاستنجاء بالماء وهي طهارة أهل الفناء ، ويقول في دخوله « اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبائث ومن الشيطان الرجس النجس » فاذا خرج يقول « غفرانك الحمد لله

---

(١) القدم بمعنى بيت الخلاء •

الذي أخرج عني الأذى وعافاني » ولا يجوز البول في الماء الراكد ولا ثقب ارض ، ولا قارع طريق أو شاطىء أو تحت شجرة مثمرة وغيره .

ثم يجوز التيمم من عذر طارىء أو برد مخوف طارىء أو جراح أو فقد الماء ، فيجوز التيمم بتراب أو غبار تعلق اليد به ، ويجوز عن الحيض والجنابة مع الاعذار المخوفة الموجودة بضربتين لوجهه ويديه . قال غيرنا يجوز التيمم بكل ما صعد عن الارض من حجراً وجدار ولكن بعد دخول الوقت ، ونزع الخاتم من اليد ويجوز للمتيمم ان يصلي بالمتوضي (١) ، فقد فعل ذلك اصحاب رسول الله (ص) ويجوز المسح على الجبائر بشرط الطهارة .

المقالة السابعة عشرة

فى الحيض والنفاس وغيرها

وأقل الحيض يوم وليلة ، وغالبه ست أو سبع ، واكثره خمسة عشر يوما وبعد ذلك فهي استحاضة .

وأقل سن تحيض فيه المرأة ثمان سنين هكذا نقل الشافعي

---

(١) أي المتيمم يؤم المتوضىء في الصلاة .

عن نساء تهامة [٢] وأقل طهر فاصل بين حيضين خمسة عشر يوما .

ولا يجوز للحائض صوم ولا صلاة ، ويجب عليها اعادة الصوم ، ولا يجب اعادة الصلاة .

ثم كيفية غسل الحيض والنفاس : اعلم ان دم الحيض اسود ثم ينتقل الى الحمرة والصفرة وفي آخر العدة يكون بياضا ، فلتتوضأ كوضوء الصلاة ، وتغتسل من الحيض ثلاث مرات وتقول « نيتي غسل الحيض » .

وهكذا تغتسل من النفاس اذا انقطع دم النفاس ، وأوله من حين الولادة ، واكثره ستون يوما ، وغالبه أربعون يوما .

وكانت البتول [١] اذا وضعت ولداً تتوضأ من وقتها وتغتسل وانما سميت بالبتول لعدم النفاس والحيض وانقطاع حب الدنيا عن قلبها .

---

(٢) هكذا نقل المؤلف عن الشافعي ولكن ما عثرنا للفقهاء الشافعية ما يؤيد هذا القول (بل الاجماع عند الائمة الاربعة ، ان مادون التسع سنين لا يكون حيضا بل دم علة وفساد) الفقه لمغنية .

(١) البتول لقب سيدة النساء فاطمة (ع) وكذلك يطلق على السيدة مريم أم المسيح (ع) .

واعلم ان النجاسات هي مثل الدم والقيح والصد ولحم الخنزير وشحمه ولعاب فم الكلب والكلب الندى والفارة والخمر والبول والغائط والجيف وكل ما استحال من طاهر وتن في اصح الوجهين ، فهذا أقل أحكام الطهارات بطريق الاشارات ، فاذا أردت غاية الفقه فعليك بكبار المصنفات مثل كتابنا البسيط والوسيط والوجيز والخلافة ، واذا أردت علم الخلاف فعليك بكتابنا التخصيص وكتاب الاشراف في مسائل الخلاف ، وان أردت أكثر النهايات فعليك بكتب امامنا واستاذنا أبي المعالي الجويني امام الحرمين مثل كتاب نهاية المطلب في الخلاف في المذهب ، وان أردت علم أصول الدين فمثل كتب استاذنا كالارشاد والمفيد والمحيط وكتابنا وهو كتاب الاقتصاد في علم الاعتقاد ، وان أردت كتب اصول الفقه فاقرأ كتاب المنخول في علم الاصول وكتاب المنتخل في علم الجدل وكتاب تبصرة أبي اسحق وحل الافعال للقفال وكتاب شفاء العليل ، وان أردت كتب الفلاسفة مثل كتاب الشفاء لابن سينا وكتاب النشأتين وكتاب النجاة وكتاب الاشارات والتنبيهات وكتابنا وهو المقاصد والتهافت وكتب الفقهيات معروفة ، وأما كتب التفاسير مثل تفسير علي (ع) وابن عباس والسدي والكلبي والثعلبي والرماني وتفسير خلف الخراساني وتفسير علي الواحدي مثل

بسيطه ووسيطه ووجيزه .

واعلم ان المصنفات كثيرة واقربها ما دل على طريق الآخرة مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي ومثل كتب احياء علوم الدين وأوليات أبي المطيع وننبه الى كتاب استاذنا وأما الصحاح فمعروفة فاطلع على العلوم واقو فيها ، واكثر من كتابنا هذا حتى تتكلم على الناس بكلام ممزوج .

ولا بأس بكتب الحكايات مثل كتاب مجرد الحــكايات للدامغاني وحلية الاولياء للقاضي أبي نعيم وكتب طبقات المشائخ. وحصل ما استطعت من التصانيف ، فان السواقي اذا اجتمعن كن دجلة لا تخاض .

وكل علم يراد لمعنى : مثل علم اللغة ويراد منه معرفة الاسماء المشقوقة والاصطلاحات ، والمراد من النحو هو تبيان الاعراب من رفع ونصب وجر وخفض وجزم وان اخواتها الناصبة للاسماء وكان واخواتها الرافعة للاسماء والحروف والظروف والجــارة والاسماء مثل حبــذا ونعم واذا واذ ثم الحروف الشرطيــة ثم ان الثقيلة وان الخفيفة واعم الالفاظ الشرطية كلها وعليه مبني مسألة الدور لابن شريح كما كان لا يعول بها ، فلما تبين وجه دليلها النحوي ومبناها على اقطاب واصول قوته لا نقص فيها

انكشف كوكب القرآن عن دليل التبيان في صحة مدار المسألة من قوله تعالى : « لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة » فدعاني هذا الدليل بقوته حتى صنعت نهاية الغور في مسائل الدور .

ثم ان المراد من الفقه هو معرفة الآداب والاحكام المنجية من النار والمؤدية الى دار السلام ، والمراد من المنطقيات هو نحو العقول كنحو اللسان يقيد بها المعاني كتقييد النحو باللسان عن اللحن ومعرفة الخطابيات والظنيات وأوزان المعاني القلبية كالفرق بين الشك والظن واليقين ، والاوزان اللفظية مثل أوزان القرآن العظيمة التي لا تشابه الشعر ولا الخطب ولا الفصول ، حير العقلاء في معجزه وأخرست آياته الفصحاء ، وقصت فصاحته طول ألسنة المتكلمين ، فهو المعجز الدائم الذي أخرس ألسنة الناطقين وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ثم معرفة الطب فمبناه على العلة والمعلول والدواء وهو مسألة يعجز بها المتطبب ، فنقول : يا حكيم اذا ثبت ان الحرارة الغالبة والبرودة الغالبة قاتلة فأين الشفاء ، فلا دواء الا بحرارة أو برودة أو يبوسة أو رطوبة فالدواء من الداء فان قال نعالج بغالب مضاد لما غلب وجاوز الاعتدال . فنقول : هذا التعديل

والغلبة من حيث الوزن أو من حيث الخاصية المستعقبة للتركيب؟ فان كان بالوزن فقد نرى انهما متفقين في الطبع اذا تركبا لم ينفعنا نفعهما الاول بل يتغير نفعهما وضرهما .

ثم يا حكيم هذا المزاج كالسراج المجتمعة بطريق الكمال اذا اطفأها النافخ فاين نورها ، وما معنى قوله (ص) الجبن كله داء واكله مع الجوز دواء ، وهما حاران يابسان وكل منهما شر في نفسه ، فمن أين وجود الدواء ؟ وان قلت بالخاصية ، فالخاصية فيض من العالم القدسي ، مركب في نفسك الاخلاص والاستقامة ويفيض عليك من أصل المعدن دواء لا داء معه .

واعلم ان المنجمين زعموا انه اذا تقارن الجرمان واجتمعا لابد ان يظهر بينهما منفعة عند اجتماع الجنسين ، فالجبن اذا اجتمع مع الجوز صارا خلطين يابسين ، فقد فهمت الآن ما يراد من العلوم وظهر لك غوامض الصلاح .

فاعلم حينئذ ان أجل العلوم ما دخل معك القبر ، وهو علم التوحيد، فاطلبه ببراهينه العقلية والنقلية والتأييدية، وهذا الكشف لا يصلح لك الا بطريق العلم والعمل فيه وتحصيل المكاشفات وتظهير حلاوات المحبة من ينابيع المراقبات ، والعلم اذا لم يكن مقرونا بالعمل فهو هذر ومهذرة ، وقد رضي صاحبها بقشر مزخرف

الظاهر ، وهم علماء السوء الذين فيهم الامثال المضروبة ، فما تصنع بالسيف اذا لم تك قتالا فخذ من حلية السيف وضعه لك خلخالا .

أما سمعت في الحديث الطويل المنقول عن ابي الدرداء : ان الله يمسخ علماء السوء في صور قبيحة والطيالسة حيات مطوقة في الاعناق ، قنعوا بعلم النظر وطلبوا فيه الغلبة يريدون العلو والمناقشة :

تبا لهم من معشر كلهم   عبيد سوء مالهم قدر
رضوا بقال واستغلوا به   ليس لهم في فعلهم عذر
من عاشر القوم سيلقاهم   حياة سوء كلها بتر
يامعشر القصاص أنتم وهم   في طبق النار لكم سعر
قلتم عن المختار مالم يقل   هذا قبيح ولكم سكر

وكثير من الاحاديث المروية في علماء السوء ، ولقد مر أبو سعيد الخدري بجماعة يجادلون بعضهم بعضا فقال : ماهذه البدع وما هذا الشنع المراء ثم النفاق نظركم عمى . ثم قال : سيرد في آخر الزمان أمة تعلم الجدل ، ويأكلون الرشوة ويداهنون الناس ويلبسون المخشخش من ناعم الثياب ويأكلون منخول البر ، ويعاشرون الملوك ، ويزعمون انهم العلماء ويؤخذ فتواهم ، أف

لأمة هذه علمائها وأئمتها •

وقال رجل لأمير المؤمنين صلوات الله عليه : أريد التوبة • فقال له : مماذا ؟ فقال من الزنا والخمر فقال : تب من الكذب والمناظرة أولا وقد تخلصت •

وقال ابن عباس : أترى ان المناظر يريد اظهار الحق على يده أو يد أخيه ، فان أراد لأخيه فهو مع السلف الصالح في الصف الاول في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وان أراد الغلبة والعلو والقهر والمخاصمة وعلو الصوت ينكشف أمره ويخطىء بالقدر ويغلب به القدر الى النار ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون •

تم كتاب التفليس لأرباب النواميس ، ويتلوه كتاب الصلاة والحمد لله رب العالمين ، والصلاة على نبيه محمد وآله أجمعين ، وبه نستعين •

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الصـــلاة

وهو مقالتان : مقالة في الاحكام الظاهرة ، والمقالة الأخرى في الأحكام الباطنة وما يجد فيها العارفون .

اعلم ان الصلوات الفرض هي خمس صلوات وركعاتها سبع عشرة ركعة ، واكمل سننتها الرواتب ثماني عشرة ركعة ، وأحكامها الظاهرة : مثل اكمال الوضوء بالماء الطاهر ، وطهارة الثوب والبدن والمكان ، واستقبال القبلة ، والاتيان بتشديدات الفاتحـــة ، والطمأنينة في الركوع والسجود ، والاعتدال بين السجدتين ، والرفع من الركوع ، وقولك في الركوع ثلاث مرات « سبحان ربي العظيم وبحمده » وتقول في السجود « سبحان ربي الاعلى وبحمده » مثلها وهو أقل الكمال .

ثم الاكتناف ومعرفة الأوقات : فوقت الصبح اذا تبين الفجر الثاني ويبقى وقت الأداء الى طلوع الشمس ، ووقت الظهر اذا غربت الشمس من وسط الفلك ويبقى وقت الأداء الى وقت العصر

ووقت العصر اذا صار ظلّ كل شيء مثله وزاد عليه أدنى زيادة ويبقى وقت الأداء الى غروب الشمس والمغرب مع طلوع الليل ، ووقت العشاء اذا غاب الشفق الأحمر ، وعند أبي حنيفة والمزني اذا غاب الشفق الأبيض وهو وقت صلاة المتقين والابرار،والاذان شرط لا فرض الا على الكفاية .

ثم تلزم قوانين الاسلام وتستحيي من الله كما تستحيي من سلطانك ، أما سمعت الخبر « لا تجعلني أهون الناظرين اليك » قال الله تعالى « أيحسب ان لم يره أحد » وتعظم شعائر الله وتأتي بها في أوقاتها الا الظهر في شدة الحر كما قال « ابردوا بالظهر ونوروا في الفجر وأخروا في العصر » .

ثم تأتي بكوامل النوافل مثل الضحى والتراويح والصلاة بين المغربين وأوراد الليل والسحر وسنن يوم الجمعة العشرة وآدابها ، مثل الاغتسال والسبق اليها وقراءة الكهف وكثرة الصلاة على رسول الله (ص) وتواظب فيها على الصلاة السبعينية قبل الزوال وتطلب فعلها في الاحياء ، وتأتي فيها بصلاة الحاجة من اثنتى عشرة ركعة بست تسليمات تقرأ بعد الفاتحة آية الكرسي مرة وثلاث مرات « قل هو الله أحد » ، فاذا فرغت من جميع الصلاة تسجد بعد السلام فتقول في سجودك : « سبحان الذي

لبس العز وقال به ، سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به ،سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه ، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له ، سبحان ذي العز والكرم ، سبحان ذي الطول والرحمة ، أسألك اللهم بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجـدك الاعلى وبكلماتك التامات كلها التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلي على محمد وآل محمد » ثم تسأل حوائجك الجائزة .

ولا تصل في المواضع النجسة ، والمواضع المغصوبة ، ولا في ثوب حرير ، ولا في خاتم ذهب ، وتقوم بالمسكنة والذل والصغار ، فاذا اجتمع الناس تحسبه جمع في القيامة ، وتحسب صوت المؤذن كنفخ الصور ، وظهور الخطيب في الموعظة كتجلي الحق لعتب الخلق والتوبيخ ، وقيام الناس في الصلاة كقيامهم في الموقف ، ثم الانصراف من المسجد كتفرقهم يوم المعاد فريق في الجنة وفريق في السعير .

والسر في الوضوء هو طهارة الاعضاء وتنميتها ، والشجرة الآدمية كغيرها من الشجر لابد لها من خدمة فجراعتها كقص الاظفار والحلق ،وشربها الماء كالوضوء والغسل،وتنظيفهاوخدمتها كحسن آدابها وترك الفضلات الدنياوية وانبات بقول العلوم عن

سواقي الخدمة، وصون النفوس من القبائح والرذائل سباطها[١] وختمها وجريان مياه الفضل في بناد أنهار العقول ليكسب في الشجرة نوح حمام المحبة وصفير بلبل التوحيد وتمام المعرفة وانوار اليقين في برك البركات وصفأ نسيم الصدق في جواز احداق المعرفة وأهداب الشجرة مخاطبة بانوار الايمان ومنادي الازل ينادي بقلوب المريدين : « سيروا من قواليب الاغيار الى الشجرة الزيتونية المباركة التي ليست بشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار » هذا معنى قوله تعالى « لا يزال عبدي المؤمن يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته صرت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، فبي يسمع وبي يبصر ، فمن يبصر ويسمع بي أقل ما اعطيه ان اخرق بيني وبينه روزنة يراني بها وينظر من غير مثال، واعطيه نورا يفرق به بين حقائق معلومات معناه تحمل قلوبهم في صلاتهم الى حظيرة القدس ، فيشاهدون جلال الربوبية من الديمومية وتظهر لهم شموس المعرفة من صفاء سماء حقائق القلوب وتنجلي لهم حالات الآخرة بذاتها مثل ميزان العقل وصراط اليقين وهو معنى قوله (ص) « أرحنا بها يابلال » ومعنى قوله تعالى « واسجد واقترب » .

قال جعفر الصادق عليه السلام : عند سجود العارف لذي

---

(١) السباط كقطام : داء الحمى .

المعارج يرفع الحجاب ، فترقى القلوب الطاهرة الى سدة سدرة المنتهى ، فيتجلى لها أنوار القدس ويفتح لها أبواب جنات حرم الحق فيعطى ما تريد لمتابعتها لما تريد .

كما تمثل فيه بعض أهل التوحيد :

أريد عطاءها وتريد منعي فاترك ما اريد لما تريد

واذا صفت القلوب في الصلاة من الوساوس المرذلة حظيت بالمشاهدة لرفع غمام الغم وظلم الوسواس عن عرصات القلوب فهناك تشاهد الافلاك والاملاك مثل ما نظمه القاضي البستي :

رؤية الحق بالعمى عن سواه وعيون ترنو به ستراه

هو في الكل ظاهر غير ان اللهو بالعيش والهوى ستراه

وسأضرب لك مثلا فأقول : ان القلب كروضة فيها شجرة فان أراد احد ان يصلي تحتها فوجد فيها عشاش طيور بزغازغ وهدير منعته عن لذة قراءته ومناجاته ، فان تشاغل بطرد الطيور فاته الوقت ، فلا سبيل الى وجود اللذة الا قطعها . وانت قد غرست في قلبك شجرة حب الدنيا وملأت الشجرة بوسواس اكتسابك وهمك وغمك فان قطعتها صفى حالك وعظم اجلالك وتجلى جلالك كما قال الجنيد :

تركت هم الدنيا فصفى عيشي وتركت هم الآخرة فصفى قلبي

والسر في الصلاة انما هو تقرب كتقرب الخادم الى المخدوم اذ يراه في قواليب الذل والانكسار وقد قال بعض المنجمين هذه الخبرة بنوبة كل صلاة لكوكب والسنن للسادس والوتر للسابع فيها ينال الغرض وقد ترجم عنه كتابه اذ يقول تعالى : « عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا » وهو معنى قول سقراط : اشتباك نغمات الاصوات من هياكل العبادات تحل ما يعقد في الافلاك الدائرات اذ باب خواص الادعية مفتوح ترجم عنه القرآن « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » وصفة داود مع المزامير معروفة كان اذا عرضت له حاجة جاء بزهاد المجاهدة واقامهم في محاريبهم ووكل بكل واحد منهم صاحب مزمار ليقطع بلذة نغمته قلب المصلي عن الشواغل فتتفرغ لحاجة داود فتسرع الاجابة كأجابة الاستسقاء والسحر المعمول به المتأثرة من الهمة والله يعلم .

واعلم ان الاوزان القلبية لا تطهر الا بطهارة المحل فاذا ارتفع السد من القلب بانت موازين معارف القلوب وامتد فيها صراط الحق وفتحت أبواب جنان المعرفة بالله وبانت أنفاس حميم حب الدنيا كما قيل :

هناك حميم أنفاسي حميمها جنة فيها الحمام

فاذا كان على هذه الوتيرة فاجعل حوائجك من مولاك في خدمتك وتطيب بطيب المعرفة والبس ثياب شعار الندم وضع خدك على

تراب التواضع • واعلم ان لكل شيء وزناً ووزن الشعر بعروضه واوزان المميز بالنظر وأوزان المأكول والمشروب بالكفتين والقبان والفريطون وميزان الذهب وميزان الصوفية لاوقات النهار وميزان الخطب بتعديل الكلام وميزان القيامـــة بقصاص الافعال فكفة ظلمة ظلمك وكفة أخرى نور طهارة أعمالك فأعلم حالك واستقم في أحوالك فابراهيم لما بأنه ميزان النظر قال بطريق التشكيك هذا ربي فلما استقام بين كفتي الاحوال قال وجهت وجهي •

المقالة التاسعة عشر

فى خواص الاشياء ومعرفة حقائقها

اعلم ان الخواص غير محصورة وليس لها تأويل يحلها فتؤخذ بذواتها كالصبر المسهل والسقمونيا والشيء المقبض فليس علينا ان نسأل لم اسهل هذا وقبض هذا فكيف نعترض طبيب الشرع فيما جاء به من التحليل والتحريم او ليس حجر اليشم يذهب النفخة فكيف تشك في شفاء خواص القران وما فيه من التحرير وفيه قوارع مخصوصة لمعاني مخصوصة ، مثل سورة الواقعة للغنى والمال ، واذهاب الغم بسورة الدخان ، ورفع البلاء والتحرز بسورة الكهف وخاصيتها فما استطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا ، ولا يجوز قراءة الآية وحدها الا باضافة السورة اليها

كما قلتم لا يجوز استعمال الادوية المفردة .

مسئلة في تعجيز المنجم تقول يا حكيم هــذا النجم الفاعل المتصرف في العبد المولد في نقطة الكرة كيف تصرف فيه بطبعه أم بجنسه أم بخاصيته فان قلت بالطبع فالطباع مختلفة وهو يولد ما يشبهه كالنار للحرارة وان قلت بالجنس فذاك سماوي وهذا ترابي وان قلت بالخاصية فالخاصية عرض لا بقاء له وان سلمنا اليك بالخاصية فهل هي في نفس النجم أم في نفس الشخص فلابد من الكشف والتبين واقامة البراهين أما السحر فهو عمل وكلام قد تداولوه بينهم في أوقات معلومة وطوالع معروفة وطلسمات مضروبة من الاجسام أو من الحروف فاذا أردت ان تولد طلسما يصلح لما تريد فخذ من كل ثلاثة أحرف حرفا فاذا اجتمعت لك في التأليف ثلاثة احرف من تسعة فهو طلسم يصلح لما تريد فانظر في الاسطرلاب عند ساحة التأليف فهو يصلح لما دلت عليه الدقيقة من الساعة ومثاله ابتث فتأخذ الجيم والثا اليق عوضا عن الجيم ج ح خ ص خذ الصاد ض ط ظ خذ العين فيصير عقربا لتدوير الحروف فضع صورتها على خاتم والقمر في العقرب تكف خاصيتها عنك أذى النساء وترمي الخاتم في الماء فينفع سقياه الملسوع وتلقى به سؤبين من اردت وترش من مائه على سطح المبغض أو

طريقه أو داره فانه يستتضر من سنة وخذ صورة اسد والقمر في الاسد وانقشه على خاتم بسواد ومعه كلمة « وهي أتينا طائعين» فتدخل به على الملك فيذله الله لك .

ذكر كلمات تذل الملوك « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل» ذل البحر لبني اسرائيل شاهت الوجوه فهم لا يبصرون ولايعقلون ولا يسمعون . ذكر كلمات يأمن بها الخائف من السلطان بقدرة الله لا تزال تقول وانت داخل اليه أو قاعد عنده في نفسك يا قديم الاحسان باحسانك القديم .

ذكر كلمات تعقد بها عنك لسان السلطان تقول عند الدخول عليه : « اليوم نختم على أفواههم ولا يؤذن لهم فيعتذرون صم بكم عمي فهم لايرجعون ولا يعقلون » .

ذكر كلمات تفرق بها بين جماعة فاسدة تخافهم ، تأخذ أفرادا من شعير حرام وتقول عليه اربع مرات ها طاش ما طاش هطاشنة [(١)] وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، وترميه من حيث لا يشعرون وتنظر ما يصنع الله .

ذكر ما يبغض بين الشخصين يكتب على بيضة وتشوى وتطعم : ومزقناهم كل ممزق وحيل بينهم قطعا بغضا . ويكتب على

(١) وبنسخة أخرى لمطاش ماطياش شنه .

بيضة مخيط عليها بخام مضيق سبع صادات وتوضع في مجمرة ملة[١] فانها تشتوي ولا تحترق الخرقة وتطعم البيضة للمحموم تنفعه وكثيرة مثل هذا وقد اختصرناها وشرحناها في كتاب عين الحياة وهو صغير الحجم كثير الفوائد وفيه المقالة الالهية التي هي سبب الجمع بين الاجساد والارواح بطريق بعث الاكسير واعلم ان الصناعة الالهية لاتخلو ان كانت فتكون وان لم تكن فليس بصحيح لأن جماهير الناس أجمعوا على انه ان كانت فلا شك ان تكون ودلالات المنقول والمعقول قائمة دالة على الجواز فالمنقول قوله تعالى ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله وقوله قال انما اوتيته على علم عندي •

وأما المعقول فقد دل عليه عمل الصابون فانه جامع بين الاضداد ماسك الطباع الدهنية والمائية والنارية فلما حصل تجميده على تجميده دل بتجميده **على** تجميده ولو لم تكن صناعة صحيحة لما كان الابريز كثيرا لبعد المعدن وهي حالة مصنوعة كسائر المصنوعات وقد ضاع العالم فيها وضيعت الاموال في تحصيلها فلم يظفر بها الا الرجال الافراد المطلعون على علوم خواص النبات وخواص الحيوان ولكن ياموسى لابد لك من خضر يعلمك معنى خـرق

---

(١) مل الشيء في جمر النار أدخله فيه •

السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار فبعد معرفة الخصال الثلاثة حصل له كشف الكنز ، وكان تحته كنز لهما فاذا خرقت سفينة الصنعة وقتلت غلام الزيبق الآبق حتى يصير ماء زلالا فاضف اليه جدار تصعيد الزرنيخ فاذا صح لك قوامه وملكت اكسيره فهي الحالة الفضية ولكن بشرط نشر الفلوس الرومية حتى تصير على هيئة التراب فتوضع وزنا بوزن فبعد حسن السبك وقوام كلس التصعيد ، صارت الارض فضة يتخذ منها دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين .

واعلم ان الزرنيخ اسم مركب فأوله زر بالعجمية فاذا صح لك فأنخ بجمال عنائك على باب استادك ومعلمك وسر بذي قرنين عقلك الى مغرب الشمس الذهبية عند عين حيوان من نبات طأطأ .

فبياضها للابيض وصفارها للاصفر هي دواء العيون اذانامت العيون ، ثم سر الى مطلع شمس حرارة الزيبق الآبق وحصله فاذا بلغت بين السدين انفخ عليه من نار لطيفة طيبة فاذا صح اكسيرها أو لم يصح فارجع الى حل الطلق واعلم ان هذا المطلب من أمهات المطاليب ، قال علي عليه السلام من حل الطلق استغنى عن الخلق فان صح لك هذا فهو اكسير اللؤلؤ الكبير فحصله فأنه موجود وان لم تقدر على تحصيله والعمل به فقد ذكرنا طريق

علاجه في كتاب عين الحياة فعليك بمداراته والصبر على اعبائه ٠

واعلم ان هذه الصناعة هي صناعة ربانية لا يقدر عليها الا الابدال والرجال الابطال الذين كشف الله الرين عن عيون قلوبهم وهذه لا تصح الا للطايع الذي يريد به عونا على الآخرة أو وفاء دين أو دفع شين وهي حريزة عزيزة ولها اربعون صناعة قبلها ليكون عونا عليها مثل عمل الاكحال والابراد والادوية والدوانيق ونحن ذكرنا خواصا دالة مظهرة لبدايعها وصناعتها في كتاب عين الحياة وملاكها الاكبر هو تصاعد الزرنيخ ومعرفة اجزائه وزمانه المعتدل الصالح النافع للابدان غير مضر من حر وبرد ٠

وهذه الصناعة الفضية التي يسميها أرباب الصنعة (القمرية) قد تعمل فيما يتصعد من اكسير بياض البيض واصلح ذلك هو الزرنيخ المصعد قواما معتدلا ووزنا واحدا معروف الصفة فافهم واعرف زمانه المعتدل وخف عليه من الحر المحرق والبرد الممزق المفرق فتربيته كتربية الاطفال مفتقر الى الاعتدال فابدء أولا بصنايع الابرار والاكحال مثل الغريزي الصغير والكبير والجلاء الصدفي وبرود الحسك وبرود المياه وهو ان يجتمع المياه مثل مياه التفاح والحصرم والرمان وتضيف اليه عرق الماميرون وعرق الريح ودواودي جعفران وبهمنى سهر وماء الرازيانج وتوتيأ

اخضر رقيق وهو المراد من الصنايع فاذا صح هذا كله فاجبله بهذه المياه مع ماء الرازيانج وماء الحسك ثم نشفه بين الشمس والظل فاذا مسكت نفسه وزالت رطوبته فاعمل منه فصوصاً فهذا هو التوتيا الهندي الذي يساوي مثقاله مثقالا ولا بأس معه بماء الماميثا وماء حي العالم فهذا هو البرود الجامع والجلاء النافع والتوتيا الهندي القاطع فان عملت منه شيئا وهو رطب حار فهذا هو كيمياء الابرار وبه يحصل لك ان شئت مكسبا تستريح من تعب غيره .

واذا أردت عمل الادن خذ ما شئت من الادن الخرق الصحيح وتضيف اليه لكل جزء ثلاثة أجزاء من شمع صافي وتطبخه بنار لطيفة بقدر ما يمتزج وتحطه فهو الادن وكل مصنوع لابد له من خمير خالص وهو اكسيره .

صفة عمل الزعفران تأخذ اصغر لحم البقر وليكن من فخذه لا سمينا وتطبخه بالخل والزعفران ثم تبرده وتغسله فتصب شعرات زعفرانية ثم تضيف الى كل أربعة أجزاء جزءاً من الزعفران الخالص .

فأما عمل المسك والزبادة تأخذ من الخالص خمسة أجزاء وتضيف اليه مثله من الخبز المحترق او الكبد المشوية المحترقة اوجزء فارة مسكية من كل واحد جزءا يضاف الى الجزء الاصلي من

مسك اوزباد فهذه الاشارة كافية ان عقلت بصدق العمل فقد قالت العرب لقمة من القدر تكفي لمن يشم الرائحة ، وفضل لقمة يتحتم لمن يكن شبعان ، والصنايع مغطاة فاذا كشفت بان سرها والعجائب ظاهرة . وقد نقلنا كثيرا منها في كتاب عين الحياة .

اعلم ان الاجسام مشاركة في هيوليها ومباديها قابلة لصور مختلفة حسب التربية والتغذية فالمسك هو من دم مجمد غزالي بحري يأكل من اطايب الافاويه الساحلية كالفلفل والقرنفل وغير ذلك وقد قيل في العنبر انه يتبع من عين بارض مدينة عنصوريا ، والكافور هو من عين فيعجن العنبر باوراق بحرية بين اشهب وابيض وما شئت من الالوان وقد نزل من السماء عشرة أشياء كالمن والشيرخشت والترنجبين واللاذن وقيل هو عين في جبال مرعش .

وينزل من السماء القطر مع السحاب يضاف اليه شيء من الزوابد فيطبخ بماء الشعير فيسقى للمرأة التي لا لبن لها ولا حيض فتحيض هذه ويدر لبن هذه وقد ينزل من السماء ضفدع أخضر يصلح للبواسير ، وقد ينزل من السماء بارض سقسين حنطة حمراء لينة باردة على طعم الزبد والعسل والثلج اذا أخذ من دقيقها وكحلت بها العيون المعيوبة زال عيبها ومن هاهنا أخذ

من أخذ واذا بخر بعضها تحت أحد ابصر الملائكةوبه يبخر لعطارد فيكلمه ، وقد قويت عزائم المنجمين بأن الانبياء بخروا فالكليم بخر لزحـل اول ساعـة من السبت ، والمسيح بخر للمشترى ، وابراهيم بخر يوم الاحد للشمس وللنـار يوم الثـلاثاء ، وقـد بخر زرادشت للمريخ وعطـارد في الاثنين والاربعاء وقد بخر نبينا (ص) للزهرة يوم الجمعة ولاجلها اختفى في جبل حراء فكانت تأتيه في صورة جبرئيلية وهو تمثال لدحية الكلبي٠

ومن أراد ان يبصر الجن مشاهدة ومصادقة ومخاطبةويسمع كلامهم ويعينونه على ما يريد ، فليقرأ سورة الجن في بيت خال من يوم بطالة في أحد او اربعاء وبين يديه بخور اللبان ، ويخط له مندلا يقعد فيه ولا ينقطع عنه البخور وهو يقرأ « قل أوحى الي انه استمع نفر من الجن » اربعين مرة وهو يمثلهم ويحدق اليهم فاذا خرجوا اليه لايخافهم ويستخدم منهممن شاء على مايشاء من سحر وطلسم وهياج وتسخير واظهار كنوز وحب وتبغيض٠

واعلم ان من الخواص النباتية ما يطول شرحه ويتحير فيه العقل ونحن نشير الى بعضه من أراد ان لا يبصر ولا تراه العيون فليزرع الخروع عند بذور زراعة القطن في رأس سنور اسود فاذا طلع خيط عليه كيسا ويربيه حتى يجني القطن ثم يقطف

العنقود كما هو بكيسه ويشقه في حجره ويأخذ مرآة بيده ثم يقطف منه حبة حبة ويضعها في فمه وينظر صورته في المرآة فأي حبة لم يشاهد فيها نفسه عند نظر المرآة فليمسك عليها .

ولهم الابهر الضم وهو نبت في الارض على صورة ابن آدم فهذا يصلح لمن علقه على نفسه لو مر بحجر لتبعه الحجر .

ولهم حشيشة تسمى بحشيشة الراسن تبخر من اوراقها على اسم من تريد فيأتيك وان لم يرد ولكن بشرط ان تقول هذه الكلمات على البخور تقول : يا جامع ياجن اجمعوا وقدموا لاق لاق عاجلا عاجلا اشروثا كبيبا ال صبى[1] ائتيا كرها أو طوعا قالتا أتينا طائعين) وليكن في يوم الاحد أو اربعاء وحشيش الراسن هذا يعمل منه شراب يسمى شراب الملائكة يصلح لارباب الاخلاط السوداوية ويصلح للنساء العجفات من شدة الحرارة وتجفف ورقه ويعمل منه برود يصلح للعين التي ارتخت اجفانها وقد يعمل منه دواء يقوي اللثة وقد يبخر منه تحت صاحب الحمى فيبرء او يبخر تحت النفساء ذات المشيمة المعلقة فتنزل وقديسلق ورقه بالخل مع ورق الزيتون فينفع الاسنان الضاربة .

ولهم نبات لا اصل له في الارض وهو على هيئة العنقود

---

(١) وفي نسخة اخرى كبليا ال صلي .

على شجر البطم والبلوط ويسمى حب العصفور ويقال له حب صيد العصافير يصلح بخوره للبيوت ، خاصيته طرد الشيطان ويبطل السحر المدفون مثل مشاقاة الشعر المعقد وبرادات الامشاط والاوتار المعقدة ، فبهذه دخل السحر على محمد (ص) ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم ضيعوا مشاقات الشعور فيها يعقد اكثر السحور ، واعظم العبر في الاولياء والابرار التي تترك قريب النار يا عايشة وعزيمتها عشر آيات من آخر سورة الرعد .

وهذا الحب المذكور يعمل منه الند فيؤخذ منه جزء وجزء من عروق القسط وعروق الزعفران وشيء من برادة العود القماري ويدق ويطبخ جميعا الا حب العصفور فيطبخ جميعا بالماء الورد الجيد العرق للغاية ، فاذا تحول وصار طينا يحط الى الارض واذا برد عمل منه الند على ما تريد .

أما صفة عمل الدرانيق النافعة فقد سبقنا الى ذكرها وعملها ولكن أقرب ما تأخذ هو ان تضيف البندق المدقوق مع الجوز واللوز والسمسم القليل والفستق فيعجن جميع هذا بالعسل الشهد مع قليل من ماء الورد ويرفع ففيه منفعة وخاصية لسم العقرب وفيه خاصية للوقاع ، وجوف الجوز الهندي الجديد على الهريسة والحنطة نافع في الوقاع ، ويصلح لمن وثبت عليه الارياح

الباردة ، أما الدرياق الاكبر فهو اربعون حاجة مع لحوم الحيات مشروحة في كتاب عين الحياة ٠

واعلم أن في النبات والادهان والحيوان ما يطول شرحه وفي خواصها آيات للمتفكرين لكني اذكر لك عمل اساءة وهي الطنبوب تأخذ من بصاصات الربيع ما تريد وبأسم من تريد في ساعة محمودة فتضعها في قارورة زيت بأعلى النار فتعلمه ظنبوب ان شئت حبشية للبغض وان شئت قرشية للمحبة وان شئت فارسية للسلطان وان شئت كرمانية للخروج من المضرة والامراض وتعلقها في الشمس وكلما نقصت تزيدها دهنا ثم تتركها في نافذة ظاهرة وتربيها وتخدمها وتبخرها وتقول عندها في كل يوم هذه الكلمات وأنت تبخرها (أيها الظنبوب الطاهرة كوني لما أريد) وهو يبخرها ولا يبخرها الا طاهرا لا حائضا ولا جنبا فهي تنقص عند نقص الهلال وتزداد بزيادته ، فهذا من جملة الخواص الدهنية ، وفي الدهن ما يطلى به الجسم فلا تعمل فيه النار ٠

وفي الاحجار ما يعمل منها فاس وقدوم [١] فاذا نقر به لايسمع صوته وفي الاحجار ما اذا وضع في التنور سقط خبزه وقد عرفت خاصية المقناطيس ومن خواصه تقوية ابدان المصارعين والحمالين وذوي الاعمال الشاقة وأما خواص الحيوان فتطلبه في كتابه ٠

---

(١) القدوم : آلة للنحت والنجارة ج قدائم ٠

المقالة العشرون
فى عزائم التسخير

تقف أول ساعة من يوم السبت مستقبل الغرب بثياب سود أو زرق بأبخرة مذكورة مثل اللبان والحرمل وقشور الرمان والخردل البري ثم تقول في وقت سعيد من تثليث أو تسديس مناط الى شرف فتقول .

أيها السلطان الاعظم والملك العرمرم مالك الفلك التابعة له النجوم الخاسف المزلزل زحل انت اشرف الكواكب وسيدها وقائدها ومؤيدها اسئلك ان تعطيني وان تمنحني ما يصلح منك لي . وتقول يوم الاحد عند طلوع الشمس وانت مستقبلها بهمة مصروفة اليها « أيتها السيدة الرفيعة والملكة المطيعة والمدبرة الكبيرة التي جادت بفيضها على الظلم فصارت أنوارا ذاتهاطاهرة وسلطنتها قاهرة أسئلك ان تعطيني ما يصلح منك لي واصرفي همتك الي فأنت الملـكة العزيزة والسلطانة الحريزة بحق من سخرك وهو الملك العظيم » .

وتقول أول ساعة من يوم الاثنين مخاطبا القمر «أيها الكوكب الازهر والقمر الابهر البارد الرطب الحال في الفلك المعتدل البارد اللطيف اسئلك بحقك وبحق الملك المعطيك من نوره اسألك ان تعطيني

ما يصلح منك لي •

وتقول في يوم الثلاثاء مخاطبا المريخ « أيها السلطان الحاد النوري الناري النوراني المزعج المدهش أنت بهرام السلطان صاحب السيف والسفك ذو الحربة النارية والفتن الارضية صاحب الحرب والسلاح والدم أسألك بحق سلطنتك ودولتك وقهرك ان تعطيني ما يصلح لي منك •

وتخاطب يوم الاربعاء العطارد فتقول « أيها الملك اللطيف الشريف والكوكب الكاتب الحاسب العالم ممازج الفلك ووزيره وملاطفه ومشيره بلطافة اخلاقك وطيب اعراقك وحسن سمتك وصفاتك الحميدة واخلاقك المجيدة الحسنة الطيبة اسئلك ان تعطيني ما يصلح لي منك ولتكن على الماء في مرج من حشيش اخضر وهواء لطيف بنفس فرحة وريح طيب وانت متصف بصفات الكتاب •

وتبخر في يوم الخميس للمشتري فتقول في دعائك أيها الكوكب الدين الصالح التقي الرفيع البديع المطيع السميع السريع الذاكر الشاكر الناشر والحامد الباهر الخائف المستغفر عندك اكثر احياء الاموات والذي يبرء من كل داء اسألك بحق دينك وأمانتك ومودتك وطاعتك ان تعطيني ما يصلح لي منك •

وتقول في يوم الجمعة مخاطبا للزهرة ، ايتها النفس الطاهرة والزهرة الزاهرة الباهرة ذات اللهو والطرب والرقص واللعب والشرب والاكل الفرحة النزهة الناظرة المزينة الطائعة لربها الحرة الطاهرة اسألك ان تعطيني ما يصلح منك لي .

فأما يوم السبت فهو مخصوص عندهم لموسى لانه زحلي والاحد مخصوص بسليمان وجماعة من الانبياء وصاحبته الشمس وفيه يتبخر الملوك لها ، ويوم الاثنين هو للقمر يصلح للوزارات والوزراء ، ويوم الثلاثاء للمريخ وفيه بخر ابراهيم الخليل ،ويوم الاربعاء لعطارد وفيه بخر زرادشت وهو نبي المجوس صاحب كتاب أوستاوسبطا .

ويوم الخميس مخصوص بعيسى وأما يوم الجمعة فهولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فالذي يطلب من زحل وهو كيوان مثل المنافع الارضية واظهار الكنوز وشق الانهار والاشجار ، وأما يخص الشمس فمثل الملك والمملكة ، والقمر لائق بالوزارات والمريخ بالحروب والبأس ، وعطارد المكتابة والنقش والحساب والهندسة والعلوم والدقائق والعزائم ومخاطبات الجن كما سبق ذكره،وأما المشتري فهو للزهد والديانةوحل الطلسمات السماويات ثم الجمعة للزهرة وقالوا انما امر باجتماع الخلق عند نصف النهار

في هيكل العبادات لاجتماع خواص الانفاس ليؤثر في حصول المطالب لشرف نفسه الفياض منه على تابعيه من قولهم في لحظة واحدة اللهم صل على محمد وآل محمد واعلم ان ادعية الكواكب لها تأثير عظيم اذا كان على ما ينبغي .

واعلم ان الناس قد اختلفوا في الخاصية كما ذكرناه في أول الكتاب ، وخواص النبات والحيوان كثيرة وقد ذكرنا منها فصلا طويلا زائدا خارجا عن الحاجة .

المقالة الحادية والعشرون
فى التوحيد

لما كان حد الكلام ما أفاد مستمعه وجب ان نعلم كنه قولكم منكم على وزن عقائدكم التي تزعمون ان الكلام قائم في النفس ثم تقولون انه آمرونا هي وامره ونهيه في نفسه فكيف يسمعني ماهو في نفسه وبأي طريق يصل الي فان قلت الهاما فهو مخلوق أحدثه لك لتفهم مالم تفهم وان قلت بكتابة فهو نوع مفاعلة فقد ضيق عليك خصمك والجئك الى القول بالحرف والصوت وهذا كنا في غنى عن ذكره بحكم قاعدة التحرير للحروف المغنية عن سواها .

ولما كان طلب علم التوحيد فرضا وجب ان نشير اليك ببعض

ما أودعناه في كتبنا من التوحيد فنبدء أولا بذكر الصانع .

اعلم انه لاينفك مصنوع عن صانع وهذه الصورة الانسانية الالفية الشكل التي قد أودع صانعها فيها بدائع العجائب مما في السموات والارضين تدلك على عظمة الخالق ولطيف صنعه ،

فرأسك سماوات جسمك والعينان نجوما

والوجه فلكها وشمسها وقمرها (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) ثم الماء المنقسم المختلف الالوان والطعوم ، بين المر والمالح والمنتن والعذب ، ثم الجسم فيه ما في الارض ، فالمنكبين جبالها والعضدين والساعدين اشجارها والاصابع اغداقها وشعورها خواص نباتها واسنانها قواضب ولسانها ترجمان الملك والمعدة طباخها وفيها قاسم يقسم الاغذية على جند العروق ودمها وشعرها وبشرها ، فمن غليظ دمائها واخلاطها يعاد به الى تربية جسمها فهو لمارق ودق ، ثم المبتغي ينزل بطريق التقسيم الى أسفل فقار الصلب فينطبخ بالحرارة الغريزية فيصير الدم ماءثخينا أبيضا على وصف ما ذكرته الفقهاء ، فاذا كمل طبخه احدره وكيل الحرارة الى خزانة الانثيين فامتلأت به عروقها فتصور خيال المنكوح في نفس الناكح واثارت ابخرة حادةفي ينابيع عروق القضيب وروا صفه فبزته قوة الشهوة من فم القضيب الى المحل القابل في أرض خزانة التصوير ، فتناولته يد القدرة بواسطة الحرارة الى درج التعفين

قياسا بالزرع في الارض وتعفين ما يراد به التصعيد لطلب تحصيل الاكسير الذهبي والفضي مثل الملك والفقر، فسبقت سوابق النحوس والسعود عند نزول النطفة في قرار مكين ثم ينتقل الى العلقة فتزينه القدرة بلطائف شموس الحرارة الغريزية حتى اذا صار جسدا سويا منتقلا عن صورة تشبه الزنبور أو نفاخة السمك ثم يصير مخطوطا بمراسم كمال التصاوير فينفتح مصاريع صورة بنكام (١) القلب على هيئة تجويفه واتقانه فعند ذلك يكشف له أنوار الروح بخار متصاعد وهو الروح عند الطبايعيين ثم هو الروح الدموية ومنه احداث الحركات .

أما النفس اللطيفة العزيزة المتخذة من نفس كلمة كن ، فهي وراء هذه الحجب المذكورة اللطيفة والابخرة المصورة وهي النفس العالمـة المحققة المـدركة اللطيفة الربانيـة الحساسة المتكلمة العارفة العالمة الباقية بعد الموت كما كانت قبل الجسد في مبدأ عالمها فاذا تكمل اجل ميقاته التحق ثانيا بعالم القدس واخرج من بطن أمه بغير احسان ، كما يخلق ويقبض وينشر على

---

(١) البنكام بالفتح والسكون ما يقدر به الساعة النجومية من الرمل (كذا) عربه اهل التوقيت ، واستعير هنا لشباهة دقات الساعة بنبضات القلب .

غير اختياره قياسا بالنوم والانتباه وهذه النفس هي الملك القاعد على سدة القلب وهو الآمر والناهي والعقل حاجبه والعلم وزيره والنفس سراجة والتصديق منهاجه والقلب بحره والحكم درره ويواقيته والجسم بلدهوعرصته ودستاقهوالاعضاء جندهوالوساوس اعداؤه ، وفيهالملائكة المصورة من حسن الاقوال والافعال وفيه الشياطين الرادعة عن الخير والقلب عند العارفين هو العرش والصدر هو اللوح ، والهام الامر والنهي هو القلم الساطر بالخير والشر على سطح اللوح ، والحاجب والترجمان هو اللسانويحمل عرش القلب ثمانية فاربعة حواس من ظاهر موصلة اليه انواع السمع والبصر والشم والذوق واربعة من باطن هي العلم والعقل واليقين والتصديق ، وتحف به ملائـكة الخوف والرجاء فاذا تنزهت عرصة عرش القلب الذي هو بيت الرب عن الوساوس والرذائل وطيب بطيب الذكر من مجامر طهارات الفكر استحق تجلي الجلال بأنوار الكمال على جنباته وعرشت معرشات المحبة على كرسي طهارة الجنانويكون المعشوق على سدة سدرةالوصال وجلس تحت أشجار حـكم المجاهدة وشرب من حوض تشريح الصدر بنور التوحيد فألبس خواص خصال الحمد من خزائن الديمومية وشاهد ما لم يشاهده الغافلون (ان هذا لهو الفوز

العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون) :

وخبرت عن ليلى بان حديثها ومجلسها يزداد طيبا على طيب
فلما تلاقيناوجدت حديثهـا يزيد وينمو عن صفات الاعاريب
كذلك نورالشمس زادحرارة اذا ماتجلت عن سحابة شؤبوب (١)

ثم تقعد أيها الكامل بالعلم والعمل المتصف بالاخلاق الحميدة والمنزه عن الاخلاق الذميمة فيشار بك الى كرسي الكمال فتسجد لك بالطاعة ملائكة اعضائك فيفتح لك يد الملاطفة أبواب جنة جنانك وتتجلى لك حور حسان احسانك وقصور تقصيرك عن محبة دنياك ، وعلى قدر همتك تبلغ مناك ، ثم يتجلى لك آدم بدنك ونوح نياحك على خطائك على نفسك وخليل خلتك بحسن جلالك ويعقوب عقوبتك لنفسك بعد ذبحك لنفسك وشهواتك وموسى صفاء حالك وداود دائك وسليمان سلامتك على بساط انبساطك ومن جن اعضائك وريح ريحتك الطيبة بحسن المجاهدة ، ثم يظهر لك خضر ايمانك عند عين حيوان حياتك مع الابرار ويأخذ ذو قرنين عقلك بزمام علو نفسك وهمتك الصافية الى عين مغرب شمس ايمانك في غوصها لبحار الشهوات ثم يعدل بك الى مطلع شمس عقلك من فلك الى فلك ثم يوقفك بين السدين من غفلتك

(١) الشؤبوب الدفعة الجديدة من المطر •

وشهوتك فافتح زبر حديد جهلك واذ به بمنفاخ المجاهدة حتى تجد أعضاء النفس والقلب مختلطين من مزج التوحيد كل منهم يلتقط من نثار عرايس المجد المجليات في خدود كحل النوم التي قد صنعتها مواشط الآداب في خدور الاسباب المنزه عن العذاب والعقاب (هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب) حور كواعب اتراب قاصرات الطرف عن كل مرتاب الحالفة الا تذوق طعم المنام الا عند لقاء الاحباب شعر :

طرق الخيال وقال لي يامدعي — أتنام ليلا بعد جيران النقـا

فاجبته والقلب في اسر الهوى — من شدة الهجران نارا مقلقـا

لهم على العهد بعد فراقهم — الا انـام الى أوان الملتقى

ثم يتجلى لك عيسى لذة عيشك وحياتك ومحمد حمدك بلطائف أعمالك وهذا معنى قوله (ص) (اعرفكم بربه اعرفكم بنفسه) فأنظر الى ملاحة تلويحه على القلوب الكريمة الطالبة لمعنى سر الروح التي ما غلقت اسرار معارفها الا عن الجهلة والعوام فهي اشارات تنطق بلسان العشق ألا ترى الى عشاق الله تعالى كيف يسترون عشقه بذكر غيره ، ألا ترى الى المجنون كيف كان يستر عشق ربه بذكر ليلى وشاهده في شعره موجود من قوله :

لمـا رأيت الحب يدهشني — ونمت على شواهـد الصب

اوقعت غيرك في ظنونهم فسترت وجه الحب بالحب
طلعت شموس وصالكم سحرا حراقة والشوق في قلبي
فاهتز غصن الوصل من طرب وتساقطت ثمر من الحب
وغدت خيول الهجر شاردة مطرودة بعساكر القرب
وبدت شموس الوصل خارقة بشعاعها لسرادق الحجب
وبقيت لا شيء أشاهده إلا ظننت بأنه حبي

قيل للمجنون أي وقت تحب من الزمان فقال الليل قيل وما تحب من القرآن فقال سبحان الذي أسرى بعبده ليلا وكان يتبع الملاحين ويخدمهم لانهم عند مد الحبل يقولون ليلا ليلا .

يا أخي اصول هذه الخلعة الكافية أليس فيها دليل على وجود الصانع القديم ، وان كنت في شك فانظر الى بناء النحلة كيف تبدء بنقل الازهار ثم تبدو بالبناء ان شائت مسدسا أو مربعا وتبنى الحائل بين كيران العسل بالشمع ثم ترش عليه من شراب السماء فان الجو لا يبرح نديا في خليتها فاذا عبثت بأكوارها القراضة (١) سفطتها لأن لايتبين العسل في خليتها فيهلك .

أفترى هذا الالهام بعد تبذير القراضة من عملها والمامها

---

(١) القراضة نوع من السوس ــ العث وهي تضر كور النحل كما تضر الصوف والخشب .

فان قلت ان الهامها نفساني فهلا الهمت نفس غيرها بكسبها .

ثم انظر في كسب النملة كيف تشق الحبة خوفا ان لاتهلك ثم انظر الى نسج العنكبوت وتعبها للشعرات صيدا لوقوع الذباب أفمن ألهم هؤلاء ليس لصانع الخالق فسبحان صانع المصنوعات وقد نظم أبو نورس أبياتا في التوحيد يستشهد فيها على ثبوت معرفة الصانع :

سبحان خالق خلق من ضعف ماء مهين
يسوقه من قرار الى قرار مكين
يدبر الامر منه في الحجب دون العيون
حتى بدت حركات مخلوقة من سكون

وقد عمل ابو العتاهية الزاهد في ذلك شعرا :

فياعجبا كيف يعصى الاله أم كيف يجحده جاحد
ولله في كل تحريكة وتسكينة أثر شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

يا هذا وفي المنظورات والمسموعات والمقروات والمكتوبات والامثال والآيات دلائل على وجود صانع المصنوعات فانظر الى آيات سورة النمل وأوائل الذاريات والمرسلات والنبأ من قوله ألم نجعل الارض مهادا أو آيات التوحيد في سورة الحشر والحديد

فسبحانه هو القديم الباقي وحده في جميع مصنوعاته ولا شريك له في ارادته (الحي العليم العزيز الحكيم السميع البصير المريد المتكلم بكلامه القديم اسمع وافهم كل ما كان ويكون فهو في لوحه وبقلمه ، فأخذ به يا أخي تسترح واكتف به تفلح وتاجر معه تربح وعند الصباح يحمد القوم السرى ويتجلى عنهم عناء الكرى .

المقالة الثانية والعشرون
فى وجود العـــالم

اعلم ان العالم مخلوق خلقه الله لا لحاجة اليه بل لتبيين سلطنته وقدرته فاول ما خلق الله العرش والكرسي والسموات والنيران والجنات والارضين وجميع الكائنات من أصل درة يسميها الفلاسفة العقل الفعال والنفس الكليةفمن بخارها ودخانها انعقدت السماء ، ومن زبدها تجمدت الارضون بالرياح على الماء

قالت الفلاسفة هو فيض فاض عن العقل الفعال والنفس الكلية ، فالعقل عندنا هو العرش والنفس الكلية هي اللوح ونفس الفيض هو جريان المقادير .

وهذه عبارات واصطلاحات لان المرجع في الفيض واحد وما شرعت العبادات والصبر عن الماء البارد وصوم العجيز عبثا

وانما له سر وهوان فوقنا فلكا ناريا وفلكا هوائيا ، فمن اعتاد عادات العبادات قطع بصبره فلك النار والهواء فوصل الى مكان الاعتدال منزه عن البرد والنار مجاور لاشباح الملائكة النورية الفياضة عن العنصر الاعلى وجاور اصحاب المعارف وانقلب الى أهلـه مسرورا فهي الجنات والنهر نسيمها معتـدل وبقاؤها دائم في جوار الواحد الصمد ، هذا لمن زهد في دار الغرور ومال الى دار الانابة والسرور ومن كانت نفسه معلقة لما خلف وترك فهو الطائر المصاد في الشرك المحجوب عن الملك والفلك ، فمن تركها تحت قدمه ولم يحتجب بعشق شيء منها راح مكرما معظما تتلاقاها الملائكة بتباشير البشارات ويشاهد صانعه فمع المشاهدة يزول عياء تعبه ويحصل مقاصد راحته ويبدل باهله اهلا صالحا مما يتمناه (عربا أترابا) ويضرب بينه وبين من فارقه حجاب النسيان (وننشئكم فيما لا تعلمون) •

فهذه حالات الملائكة المنزهين عن المأكل والمشرب والمنام وهي حالات النفس الطاهرة المسبوكة بنيران المجاهدة والمصفاة بالعلوم والاسرار عن كدر عشق الاغيار •

وأما النفس الخبيثة المقيدة بحب الدنيا المنهمكة في المأكل والمشرب وسائر اللذات البهيمية فهذه تنفصل عن عالم الجسم

الى ظلم طبعها بما اكتسبته وهي محجوبة برين ما فعلته ومقيدة تحت ما خلفته ، تهم بالارتقاء فيحجبها قيودها لانها مرهونة بمظالمها كل امرء بما كسب رهين ، فهي كالاعمى الضارب بعصاه بين القبور ربما يطيح ويعذب بين الفلكين الحار والبارد حتى يغلب عليه القدر والمشيئة ، وكلما طال المدى عليها تلاشت محجوبة عن اللذات السرمدية والمنافع الابدية فلا عذاب اعظم من هذا ، تلسعها عقارب افعالهـا وافاعي جهلها وهي محجوبة عن نور جوهر عقلها وتسمع الخطاب عن رب الارباب (اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمعتم بها) الآية هذا وانت مشغول مع زهدك بالنغمات والالحان أترى اعطيت الامان بالكليـة حتى تفرح وتمرح وما قرعتك الموعظة (ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ان الله لا يحب الفرحين) فاشتغالك بخلاصك أولى بك :

اذا أنت لم تمهد لنفسك موضعا   فانت عليـها بالنجاة بخيل

وتزعم ان اشتغالك بهذه الاشياء هو عين العبادة وتتعلل بسماع أحاديث لاتعرف باطنها وربمـا تغتر بعملك الخالي من نور العلم هيها ت فان العلم بلا اصغاء ووعاء ترهات لا تدعي الزهد وتسلك طريقاً غير المستوى وتزعم انك صالح بلى صدقت

للفريات وانت غافل عن معرفة خواص نفسك ، أماعلمت ان شعرك يسحر وعض سنك يكلب ومن بخار فمك يهرب ودهنك يفتل [١] وقلامة اظفارك تهلك .

كم في الحيوان من خواص لا تعرفه مثل مرارة الدب للسمن وشحمها أيضا ، ولحمها مع تحريمه يذهب بالارياح، واكباد الارانب تنفع الاكباد وعيونها للعيون وشحمها للارياح ويصلح دمه طلا للبهق والكلف في الجلد وشحم الخنزير يجعل في علف الدواب ودهن البيض للشعر ودهن الشوك والحنطة للثواليل ، وشحم القنفذ للارياح ، وقصبة السكر للطحال وزنا وسفا ، ومخ الحمار قاتل ، وفي الهدهد منافع ذكره صاحب كتاب الحيوان والجوز الهندي في الهرايس نافع للجماع ، ومعاجين وأدهان لقيام الذكر .

والحرارات الغالبة قاتلة وهكذا البرودات ، والماء عقيب الطعام متلف وحقن البول اتلف والفصد محمود والحجامة احمد والقي ينظف المعدة والقليل من لباب الخيار نافع ، والسوداج للمبرود أجمل ، والحنطيات لصاحب الجماع يغني ، واكل الهرايس افضل وشراب الرمان محلل الطعام في المعدة والبطيخ

---

(١) الفتيل ما فتلته بين اصابعك من الوسخ .

فيه عدة فوائد : مطعم مشرب وريح طيب ومقطع للحصى ، ومدر للبول ويغسل المثانة ويذهب مع القي الخلط ، وفيه اربع مضار ينشف الحلق ويزيد الصفراء ويورث الحكاك ودفعه بالسكنجبين والقاووت المحلى يقطع الشهوات ويعصم ويسمن مع الريح الطيب وخير الفواكه انضجها واجودها قبل الطعام الا الكمثري (١) فقليله نافع بعد الطعــام وتقليل الزاد أجود لعينك عن صفة الطبيب والجوع درهم أو أقل خير من التخمة وقد تصعب مداواة المتخوم ويكره تعجيل الماء عقيب الطعام ويستحب امتصاصه ويكره عبه ، واكل الحوامض في الصيف أنفع والسوداج في الشتاء ، وانفع الفواكه المغذي مثل التين والعنب وانفع الرمان الملاسي قليله بعد الطعام أو عند النوم وهو مضر لاصحاب الجماع لا سيما حامضه .

المقالة الثالثة والعشرون
فى الاشربة

اعلم انه لابد لك من تعديل مزاج مطية نفسك وهو البدن بالاشربة الملائمة .

فأما السكنجبين فهو أول ما صنع لذي القرنين واجوده

---

(١) هو العرموط وبالفارسية كلابى .

المعتدل وهو يصلح لقطع البلاغم والمواد الصفراوية وشراب الرمان صالح لتبريد الكبد وشراب الخشخاش والبنفسج والنيلوفر فوائد عملها في الرأس وشراب الراسن [٢] يعمل في الخلط السوداوي حتى زعم ابو نصر الفارابي انه يغني عن المفرح الصغير .

وأما شراب الورد فهو يسهل الخلط الصفراوي فان اعنته بدرهم ونصف تربد، ودرهمين سورنجان فيكون سفوفا تستعمله قبل شراب الورد أو بعده .

وأما الربوب: فرب السفرجل يعصم المحرور ،ورب التفاح يعمل في الخفقان الواردة عن ضعف القلب اذا كان من حرارة ،ورب التوت فخاصيته في الحلق .

وجميع الاشربة والربوب فالغنى عنها بالحمية مع العود الى العادة القديمة كما جاء في الحديث المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد ،ولا بأس لمن اعتاد الشربة ان يتعهدها عند الحاجة اليها .

قال أبو طالب المكي (رض) لا تتعرضوا مع العافية الى

---

(٢) الراسن نبات طيب الرائحة طويلة الاوراق جدا .

الدواء فربما يفضها •

وشرب الدواء في الخريف أولى من الربيع لقربه من المآكل التي تحدث السهولة وأما البقول فانفعها الهليون [١] والاسفناج روى ابن قتيبة ان النبي (ص) قال اربع حشايش من الجنة يقطر عليها في كل ليلة قطرة من ماء الجنة وهي الاسفناج والهندبا والهليون والخس ففي الهندباء تبريدوفي الاسفناج تليين والهليون يقوي آلة النسل والخس يولد دما صالحا وانفع الهليون ماعمل بمخاخ البيض والزيرباج وانفع البيض مخاخه واجود الخيار ، القليـل من باطنـه ، وأما الكرفس فان قليله يفتح السدد وقد يتبرك به الناس في بعض البلاد ، والسداب قالوا يورث الجذام اذ أصله من خرؤ الذباب • وأما التين فقد •

قال (ص) كل التين رطبا كان أو يابسا فانه ينفع في الجذام والنقرس والبرص •

زعم بعض الاطباء ان في التين خاصية قطع الناسور ويدر دم الحيض وانفعه الصغار الازرق البالغ واكله على الريق انفع وآخره أجود من أوله ، واول البطيخ اجود من آخره ، وخيار

---

(١) الهليون نبات يحمل ثمارا حمراء مزينة الشكل من فصيلة الزنبقيات •

الخريف يورث الحمّى، وريحان الخريف يورث الزكام ، والشرب في كوز الجماعة يورث الآلام وسره من تأثير ابخرة الافواه ، وحقن البول يورث حصاة المثانة وشرب ماء بزر البطيخ يعمل في عسر البول وحبه اذا دق مع الكشنة أو العدس ينعم البدن ويزيل الزهكة .

ويكره الغسل في الحمام بالعدس والمواضع النجسة ويجوز الغسل بالعدس في الاواني ودلوك الاسنان ينشف رطوبات الابدان ويسمن ويسمر الالوان .

ومعجون السمسم فيه ترطيب الشعر وتنعيم البدن ، وشقاق القدمين أمان من الجذام وأكل اليقطين يعمل في الخلط السوداوي وحلاوة القرع تزيل التجفيف .

والزيرباج [١] فاعدل الالوان لكن بشرط أن يضاف اليه الخشخاش المرضوض واللوز المحمص المدقوق مع الدارصيني والزعفران يحل بماء الورد والعسل ويوضع في رأس البطيخ هذه حيلتهم على السكنجبين وانفع الحلوى ما كثر خبزه وارطبها حلوة البيض والقطايف اميرها، والمسير [٢] ثقيل في المعدة واجوده السهل الناعم مثل الصابونية والكافورية ، وأما خبيص اللوز

(١) الزيرباج طعام يستعمل لقصد المنفعة واللفظ معرب .

(٢) المسير نبت بري ينقع في الخل .

فثقيل وأجوده الناضج الكثير الخشخاش ، وأما الهرايس فأجودها أنضجها وأخفها لحما من العنز والضأن •

قال صلى الله عليه وآله وسلم شكوت الى أخي جبرئيل ضعف الوقاع فأمرني باكل الهرايس فوجدت لضعفي جبرا •

والاكثار من لحم الدجاج يورث الحرارة في الاطراف والمامونية بالخروف المشوي اجمل لكنها اثقل هذه اشارة الى الادوية والاطعمة وانفعها ما دام وقل ، والاغذية المختلفة على الموائد من سيرة المترفين فقد قدم عثمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قطايفا بالقند والفستق ودهن القرغ ففرك وجهه (ص) ثم قال آه من طعام المترفين وحساب المسرفين وقدم قعب من حليب وتمر الى النبي (ص) فقال كليه يا عائشة فالسمن لكن اليق ، وكان يقتات بعسل العرفط [1] والمغافير •

المقالة الرابعة والعشرون
في صفات العاشقين

اعلم انه من ترك شهوات الدنيا وهو قادر عليها كتب له من الاجر مالا يعد والسر فيه انه اوقع بينه وبين نفسه فسكت

---

(١) العرفط كقنفذ شجر يسيل منه صمغ المغفور وهو لعاب لطيف حلو غير ان رائحته كريهة •

عن اللذات والشهوات .

فاذا فارقت هذا العالم الخسيس والحبس المظلم والجسد المغتم لم تتأسف على مفارقة المحقورات فهي رقت الى عالمها وشرفت بعلومها المرسومة المنتقشة فيها مثل علوم التوحيد وهو العلم بالله بالبراهين النقلية والعقلية فيحدث به لك جناح تخرق به عالم الملكوت اذ الارواح ثلاثة ، نفس العارف والناسك والزاهد اذا اجتمعت خلالها الثلاثة فلا يضرها الموت ولا الفوت لانها كاملة رقت الى عالم الكمال فهي تحظى بما ليس في الجنة من المقامات العلوية والانوار القدسية في الحضرة الصمدية مجاورة للملائكة الروحانية تجتمع اليها وتسمع عليها من العلوم المودعة عندها فهي تنفصل عن عالم الكون والفساد وتلتحق بعالم البقاء الذي ليس فيه نقص ولا نفاد اذ يقول تعالى أعددت لعبادي في جنتي مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

اعلم ان هذا الحديث يدل على ان وراء نعيم الجنة المحسوسة نعيما لا تدركه النفوس الا مع المشاهدة فهذا مما يعجز عن صفة مشاهدته لانها لذة ذاتية تجوز عن حد التعبير والتفسير كما لو قيل للعنين عن لذة الجماع لما عقل ومدرك اللذة لا يقدر على تعبيره فهذا لا يدركه الا شاهده وهو النظر الى الله الكريم وانت

تريد ان تعرف لذة المشاهدة من غير ابصار كما لا ينتفع الجبان بذكر الحرب من غير مشاهدة ولا مواقعة وكيف تطمع مع الغفلة رفع الحجاب وقد سمعت ان زين العابدين عليه صلوات الله كان اذا قام في صلاته يرفع السد بينه وبين محبوبه فيطوف بقلبه في عالم الملكوت الاعلى وهو معنى قول أميرالمؤمنين عليه السلام لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقوله (ع) سلوني عن طرق السموات فاني اخبركم بها •

وأنت أيها المبطل الغافل عبد نفسك واسير شهوتك وتريد ان تلحق بالابرار والمقربين او تطعن مع حجتك وجهلك في كرامات الصالحين :

تريدين ادراك المعالي رخيصة ولابد دون الشهد من ابر[1] النحل
تريدين ان ارضي وانت بخيلة فمن ذا الذي يرضى الاحبة بالبخل

فجاهد ولا تجاحد واركب فرس حسن ظنك واقطع الغاية حتى تكون آية والبس ثوب الشقا اذ أحببت اللقا ، وارض بالعيش الطفيف ان احببت ان ترقى في عالم المجد الى قلة حمى الملكوت •

قال صلى الله عليه وآله وسلم ظفر الزاهدون بعز الدنيا

---

(١) يريد به لسعة الزنبور •

ونعيم الآخرة قيل ان المجنون سلم على ليلى فأبت رد السلام فقال لها ولم فقالت أخبرت انك نمت البارحة لحظة ولو كنت صادقا لما نمت عنا فقال عسر علي زيارتكم فأحببت ان اراكم في المنام فنمت ، فقالت له ليلى كان شخصي قد زال عن قلبك ومثالي قد انمحى من خيالك فقال اعرضت عن المثال واشتقت الى التمثال ، فأنشدت ليلى :

لم يكن المجنون في حالة　　الا وقد كنت كما كانا

بل لي عليه الفضل من أجل ما　　باح واني مت كتمانا

قيل للنبي يا رسول الله ان كثيرا وهندا ماتا في حبهما فقال صلى الله عليه وآله وسلم عجزا عن حمل المحبة فماتا ثم قال لعائشة حبي لك يورثك شوقا وفقرا فقالت أو أبقى بعدك لا كنت ان بقيت فقال ستبقين ولكن تشقين حتى تلقين .

وقال يا عائشة اذا مات الزوجان المتحابان ينتظر أحدهما رفيقه كانتظار الغائب .

ترى يقدم الغياب حتى نراهم　　ونأخذ شوقا منهم أو نآنس

لقد ضاقت الدنيا علينا ببعدكم　　وغصصت بالماء الذي أنا وايس (٢)

لئن غبتم عن ظاهر الامر بيننا　　فما انا الا للمحبة دارس

---

(٢) الويس ما يطلبه الانسان .

اذا ماجلسنا نذكر البين بيننا   تضيق القوافي منكم حيث نجلس

لما احتضر الصديق قالت زوجته وافراقاه فقال الصديق بل انا اقول وافرحاه بلقاء الاحباب ، فلا تخف الموت ان كنت مشتاقا الى أحبابك فلابد من اللقاء في دار البقاء فشمر عليك وقدم بين يديك ، عساك تظفر بسهرك فمن ادلج بلغ المنزل ومن جعل الليل له جملا قطع عليه مفاوز الهلكات ٠

فثب واثقاً بالله وثبة ماجد   ترى الموت في الهيجاء جنى النحل في الفم

شق الجنيد جيبه لما سمع صبيا يترنم ويقول أرى زماني يمر بالحسرة وينقضي بالمغالطة وقد تركني بحال مالي حال ٠

اذا صحت الاعمال وطيبت الاجسام وسهر العاشقون وقللوا الزاد والرقاد فتحت أبواب بساتين الاشتياق وبزغت شموس المعرفة وازهرت مزاهر القرب من وراء الحجب واشرقت هياكل القلب من أنوار جمال الرب ورفع الحجاب وقطعت الاماني ونادى العاشق بمعشوقه كاشف بالكائنات وشاهد حقائق الموجودات واحظ بأنواع المكاشفات وانثر عليك نثار الكرامات وابشر بأعلى المقامات ٠

قال أبو الحسن النوري دخلنا على أبي يزيد البسطامي فوجدنا لديه رطبا فقال كلوه فانه هدية الخضر جاء بها من عند

رسول الله صلى الله عليه وآله وانا ما طلبتها الا من الله تعالى حتى اكلها على يدي الخضر ثم دخلنا عليه في الجمعة الثانية فوجدنا بين يديه رطبا في طبق ذهب احمر فقلنا ما تطعمنا منه فقال لا هي لي ولا لكم فقلنا كيف حديثها فقال كنت قاعدا بالليل أتلو القرآن فسمعت خذ الهدية منا لا واسطة بيننا ٠

واعلم أيها الغافل المحجوب عن لذة المعرفة ان احباب الله يتدللون عليه كما يتدلل المعشوق على عاشقه كما قالت رابعة (١) الهي بحق ما كان بيني وبينك البارحة اجمع اليوم بيني وبين شيخنا يونس بن عبيد فدخل يونس فقال يا رابعة ضيعت دعوة فيما بيننا لابد ان يكون ، فقالت يا شيخ دع عنك هذا فاين آثار دلال الاحباب وانت تريد سببا بلاش فهذا طلب الاوباش قال الجنيد لرجل يعطى اجرة عماله اما تعطيني معهم يا شيخ فقال الرجل يا احمق تمنى نفسك بالبطالة لو عملت لاخذت ٠

وقد جاز الشبلي بدار فسمع الزوجة تقول لزوجها لا منّة عليك الا بقدر فعلك تريد بلاش عناق وزقاق فقال الزوج الكسل

---

(١) هي رابعة العدوية الزاهدة الناسكة المعروفة واصلها من البصرة ٠

يعمل اكثر من هذا وانشد :

قد فاتني مقصدي فذبت جوى   حاطت لدينا مصائب الكسل

لو عملت لرضيت عني خليلتي •

المقالة الخامسة والعشرون
فى المأكل والمشرب وآداب المائدة

اعلم ان الله تعالى خلق هذه الصورة الادمية وجعل لها غذاء وهو سبب ابقائها فالناس فيه ضروب طائفة تقنع بالقليل من المأكل وهي القانعة التي يصلح ان يكون منها متعبدون وهي شبيه الملائكة بخصالها وخلالها ونومها ومأكلها فكلما قل الغذاء كنت مشبها بسكان السماء وثمرته العافية والغنى عن الطبيب ومن قلة الاكل يحصل رقة القلب وقلة المخرج •

فمن كانت همته ما يدخل في بطنه كانت قيمته ما يخرج منها ، والاقلال من الامراق والفواكه اسلم واعلم ان كثرة المآكل ككثرة الرفاق لا تربح من كثرتهم خيرا ، ألم تر الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يجمع بين الادامين فهذا فيه زهد وطب •

ومن البطون بطون نارية تأكل ما يلقى اليها والنار لها سبعة أبواب وللبطون مثلها مثل باب الحرص وباب الشره وباب

النميمة وباب شدة الجوع وقلة المبالاة بالخطايا ، والمأكل الحرام أشد الذنوب واعظمها .

وللجسد سبعة أبواب دالة على أبواب جهنم مثل السمع والبصر واللسان والبطن والفرج واليدين والقدمين فهذه أبواب السعاية الدالة على القبائح ، واعظمها البطون واعظم الافعال القبيحة مظالم العباد قال النبي (ص) من أكل لقمتين من الحرام حجبت دعوته أربعين صباحاً ، ومن ملأ بطنه كانت النار أولى به .

وعمل الحرام مثل المال المغصوب والسرقة وأخذ العشارة [1] والجناية على الناس وقطع الطريق وقبول الرشوة والاجارات على الطاعات وجزور الحرام وأجرة الحجامات وأخذ ما لا يستحق حتى نوبة الماء ، وأنواع كثيرة ذكرناها في كتاب الإحياء من الحلال والحرام .

وأما مكاسب الحلال فأصلها هو المباح مثل بيع العفص والبلوط والمنّ والحشيش والحطب ، وأما الصيد ففيه كلام بين العلماء فتركه أجمل ، وعملك بيدك مع النصح أحلّ وأنفع .

اجتمع أبو الحسين النوري وأبو يزيد وسفيان ابن عيينة

---

(١) العشارة : مهنة العشار ، وهو الذي يأخذ واحداً من عشرة جباية من الناس .

فأخذوا ببعض أجراتهم خبزاً وتصدقوا بالباقي ، فلما قعدوا لأكل الزاد قال سفيان : هل تعلمون منكم النصح في الحصاد ؟ فقالوا : لا نعلم . فتركوا الخبز مكانه وراحوا .

واعلم أن سر الحرام غامض نكشف بعضه فنقول : إن الصانع واحـد والخلق من فيضه ، فالمتعدي على بعض أجزاء الفيض يسري بعدوانه الى الكل ، كما قال تعالى في القاتل «فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » .

والقياس اذا قال الرجل لزوجته « شعرك طالق » سرى الطلاق في جميع جسدها ، وهكذا اذا تصدقت فقد أرضيت به الصانع والمصنوع ، واللقمة الطيبة ــ وهي الحلال ــ أفضل عند الله من صدقات كثيرة ، فاذا أردت الأكل فكل ما دنى من الأرض بالأصابع الثلاثة بعد الجوع وقم بعد الشبع واقعد كقعودك بين يدي شيخك للتعليم .

واعلم ان الله سبحانه وتعالى قد نزع البركة من الطعام الحار وفي المأكل الحار أربع مضار : يهدم الأسنان ، ويصفر اللون ، ويذبل الكبد ، وربما يخاف عليه من أذى المصران .

واغسل اليدين قبل الطعام وبعده .

ولا يجوز أكل المنتن للزوجين الا باذن بعضهم بعضاً ، والسر

فيه أنه يورث النفرة بين الزوجين ، والريح الطيب مؤلف ومحبب بينهما .

وترك غسل اليدين يقمل الثوب [١] ويولد رائحة كريهة على ما ورد ان الشيطان يسترضع اليد ويستحسن الصورة فيألفها.

ولما كان المقصود من الحلال تصفية القلوب وتقليل الذنوب صار طلبه فرضاً كفرض العلم ، فان العلم اذا لم يدل على خير فهو ضرر .

وفي الحديث : من أكل الحلال سنة كشف له عن طراز العرش وصفت أنوار خاطره ، وهو كيمياء السعادة الأبدية ، تنشرح به الصدور وتصفو به أنوار المعرفة ، وتنبجس في القلب عيون الحكم وتكشف غشاوة الغفلة ، ويرفع سدّ الغرور فيبين صفاء سماء التوحيد ، وينكشف له عن اللوح المجيد فيسمع بأذن صفاء خاطره هدير تسبيح الملائكة المقربين .

واعلم أن النفوس لا تكون مرهونة بعد الموت الا بمظالم العبيد ، والسر فيه مطالبة حاضرة بين غريمين بين يدي حاكم عدل عليم باق ، والمساواة واقعة بين العبدين « الا من أتى الله بقلب سليم » . ومن تخلصت نيته عن المظالم انفك عن قيد النفوس

---

(١) أي يولد القمل في اللباس والبدن من الوسخ والدسم .

فصارت روحه الى أين تختار ، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم : «ان الأرواح لتزور بيوتها وأهلها ، فان رأتهم بخير شكرت والا نفرت ، وهي تنادي : يا أهلي اياكم والدنيا فلا تغرنكم كما غرتني » .

وهذا هو سر ندامتها ، وأما الأرواح الطيبة من الدنس والآثام والمظالم فهي تطير اينما شاءت واختارت على صور ماذكرها الناس ، اما جوهر أو هيئة ملك أو جسم لطيف ، والكل مدرك حساس عليم بمفارقة الجسد .

فبقدر انتقاش علمك يا هادي سيرقى العـليم فوق الجهول

وفي الحديث : ان ردّ درهم مظلمة أفضل عند الله من أربعة آلاف حجة مقبولة ، فاذا كان حجك واجتهادك خوفاً من الآثام فاقطع أصولها لكي تسترح .

المقالة السادسة والعشرون
فى تهذيب النفس

اعلم أن نفسك هي أشد عداوة لك كما في الحديث : نفسك التي بين جنبيك هي أعدى عدوك ، تدعوك الى الويل وترشدك الى الضلال وتوقعك في الدناءة وتدعوك الى اتباع الهوى وتوقعك وتطمعك وتهلكك وتملكك ، فاقطع خصالها وخلالها وشرهها

وشركها وطمعها وولعها وشبعها ، ففي الحديث الصحيح : إن الله تعالى لما خلق النفس قال لها : من أنا ؟ فقالت : وأنا من أنا ؟ فعذبها بأنواع العذاب ، فكلما قال لها : من أنا ؟ تقول : وأنا من أنا ؟ حتى عذبها بالجوع والتواضع فقالت : أنت الله الذي لا إله إلا أنت .

فنفسك زنجية تطالبك بالشهوات ، فاذا شبعت طمعت واذا عصيت رفضت ، هي الموقعة في البلايا وهي أم الرزايا ، هي الذئب الكلب والأسد الحرب والكلب النهم والعدو القرم ، داؤها كثير ودواؤها قليل ، وأعظم تراقيها المخالفة لسواها .

اذا طالبتك النفس يوماً بشهوة   وكان عليها للخلاف طريق
فخالف هواها ما استطعت فانما   هواها عدو والخلاف صديق

ولا يجد المريض حسن الشفاء الا بالصبر على مرّ الدواء فعذبها بما تهذبها ، فاذا عزمت على تهذيبها فاضربها بسياط تعذيبها واقمع بالتواضع كبرها واطبخها بنار الامتحان ، واجعل العلم لها سيد الأخدان والعمل الصالح لها مولى الخلان ، وتعلم الاخلاق اللطيفة واكتسب الأعمال الصالحة ، والطف واظرف وتكايس ولا تتآيس .

واعلم ان الله لطيف وليس من شأن اللطيف أن يعذب اللطيف

والمهذب لنفسه ومعذبها بنيران المجاهدة .

واعلم أن الخير عادة والشر لجاجة ، فربها بالنوافل وهذبها بين يدي شيخك بالسمع والطاعة .

واعلم أن حرمة الشيخ أعظم من حرمة الوالدين ، فالشيخ هو الوالد على الحقيقة والمرشد الى الطريقة والمخرج للمريد من ظلم الجهل الى نور المعرفة والى السعادة الأبدية والنجاة الحاصلة والالتحاق بالملائكة ، لأن الشيخ هو الطبيب للذنوب ، وأما الوالدان فهاجت نيران شهواتهما لقضاء الوطر وجنيت أنت من ثمار الشهوة بما تقدمت نيتهما بايجادك عند الوطي ، فكانا سببا لاخراجك من ظلم العدم الى ظلم الجهل ودار المكابدة والعناء فقد أجادا نقلاً وقصرا عقلاً .

أنشد المعري لنفسه وأنا شاب في صحبة يوسف بن علي شيخ الاسلام :

أنا صائم طول الحياة وانما فطرى الحمام ويومذاك أعيد

لو فزت من صبح وليل لارتقى شعري وأيدني الصديق الأيّد (١)

قالوا فلان جيّد لصديقه كذباً أتوا ما في البرية جيد

---

(١) الأيّد ككيس : القوي .

فأميرهم نال الامارة بالخنـا　　ونقيبهم لصـلامة [٢] يتصيد

كن من تشاء مهجناً [٣] أو خالصاً

فاذا رزقت حجىً فأنت السـيد

والله ما سمعوا مقـالة صادق　　الا وظنـوا أنـه متزيـد

هذا الشعر في بحر لزوم ما لا يلزم .

ومن علامة علمك انهم اذا هرجوا لاتلتفت واذا مزحوا لا تتزلزل واذا كابروك لا تحول ، وكابد نفسك عن المزاعقـة والمصايحة ، فالكبر مطية النفس ، فاذا أردت الغاية الكبرى في تهذيبها فاقصرها في بيت أربعين صباحاً أو أربعةأشهر وهو الأفضل وانقطع كأنك ميت ولا تبق لك حاجة ، وحصل من الزاد ما وافقك وأعانك كما تحصل لطريق مكة . ثم اركب مطية متابعة الشرع ، ثم سر في فلوات قمع النفس ، وليكن البيت مظلماً والزمان في الشتاء أولى ، ولا تأت بغير الفرائض من الصلوات ، ولا تنم الا عن غلبة ، وكل ثلثي أكلك بعد الجوع ، ومقداره من اللقم الوسيطة ستة وثلاثون لقمة .

---

(٢) الصلامة : الفرقة من الناس ، الرجل الذليل المهان .

(٣) المهجن والهجين : عربي ولد من أمة ، ومن أبوه أشرف من أمه .

وليكن ذكرك « لا اله الا الله الحي القيوم » فاذا كلّ اللسان فقل بقلبك ، ولا تخف من الواردات عليك ، فقد تجيئك صورة قبيحة وخيالات قاطعة وجن وشياطين وملائكة ومعلمون ، فواحد يقول اعلمك الكيمياء وآخر يمنيك بالكنوز وهذا يوعدك وهذا يهددك ، فلا تلتفت فانه سيظهر لك مع الصدق وترك التجربة عجائب وفنون .

فعند ذلك تذوب كثائف الحجب عن القلب ، وترفع ستور الغفلة بين قلبك وبين اللوح المحفوظ فتشاهد ما فيه وتنقل الى الخلائق معانيه ، وينكشف لك في اليقظة ما كنت تشاهده في المنام فيستنير القلب وينشرح الصدر بأنوار الجلال ، وتنخرق الكائنات وتنكشف المستورات وتظهر الكرامات التي هي أخوات المعجزات وبينهما فرق في التحدي والاظهار والاستتار ، بل اذا وصل الى درجة التمكين صار الكل بحكمه ما شاء فعل أو قال : « واما بنعمة ربك فحدّث » .

وكلما تجده في الخلوة تعرّفه شيخك ، فالشيخ في قومه كالنبي في أمته ، ومن ليس له شيخ فالشيطان شيخه . قال أهل التحقيق : « ومن مات بغير شيخ فقد مات ميتة الجاهلية » . لأنه يعلمه ويدله ويعرفه طريق الوصول الى الله تعالى .

وصاحب الخلوة يهب عليه نسيم القرب من دواخل الحجب وينكشف له أسرار قلوب المخلوقين ، ويزوره الأبدال فتراه فرحاً طيب الخلق حسن العشرة دعب لعب ، لان الله يكون قد تجلى بقلبه ، فيسمع كلامه ويبلغ منه مرامه ويكاشف شموس المشاهدة ويعلم المخفيات ويطلع على الكائنات .

ومن علامات الواصل بالله حسن الخلق وكثرة العلم وحلاوة الكلام والتواضع ، وصاحب هذا الطريق مع علمه الغزير لا عبوس ولا حقود ولا متكبر ولا ظالم ولا متجبر ولا أكول ولا شروب ولا نؤوم ، نفسه ملكوتية ، قوى جبرئيل همته ونفخ اسرافيل سعادته ، في صور همته فحدى به حادي محبته وسار به في بيداء معرفته ، حتى تجلى له بيت الجلال فانكشف منه خاصية يمشي بها على الماء والهوى ، ويطوى له بها البعيد .

فاقربوا من أمثال هذا الرجل تكتسبون من قربه وفيض خاصيته ما اكتسبه الهلال من قرب الشمس ، وربما ينتقل أحوال الأبدال الى التلاميذ والمريدين كما انتقلت النبوة من موسى الى يوشع بن نون .

واعلم أن هذه الأحوال والمقامات لا يصدقها الا من عرفها كما لا يصدق علم الكيمياء الا من عالجه وعرفه ، فكل من يكلم

الصانع الواصل العليم فقد هدى ، فان الأعمى لا يبصر القمر ، والزمن لا يعد وخلف الطريدة ، وأنت تغيب وليس فيك نصيب ولا أنت محب ولا حبيب . بطنك ملاءة وعينك محيطة ولسانك معقود وعلمك قليل وأملك طويل وذنبك غزير وربك بصير ، فاسمع مناديك في جانب واديك : « قل لا تعيبي الحرائر حتى تكوني مثلهم » .

فأحسن الظن فانك قد طرحت فطرحت ، وجرحت فجرحت ولو واصلت وصلت ، ولو خـَدمت لخـُدمت ، لكنك متشبث بحبل (ط م ع) ، وهي مجوفة خالية من النقط ، فهلكت وما ملكت وما فاتك فاتك ، والندم تجده عند وفاتك . « واعلم ان الله مع الذين اتقوا والذينهم محسنون » .

قل للكئيب المعنـّى الى متى تتعنـّى

فلا حياتك تصفو ولا بنـا تتهنا

تمت المقالة الأولى والحمد لله رب العالمين ، وتتلوه المقالة الاخرى في السعادات والنبوات ، وهي المقالة السابعة والعشرون .

المقالة السابعة والعشرون
فى السعادات والنبوات

فقد تشعب القائلون واختلف العلماء : فمنهم من زعم أن

السعادات والنبوات مكتسبة بدليل قوله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » قدّم المجاهدة على الهداية وجعلها مفتاحاً لأبوابها ، وجعل الحركات أسباب الاكتساب ، وليس لأحد فيه مدافعة ولا مشابكة ، والناس في خلاف : فمن قائل يقول ان الافعال لله يسخرها فيما يريد تمسكا بقوله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون » ، وآخر قال ان الافعال للعبد ، ولا خلاف في انها مخلوقة لكنها متعلقة بارادات العبد وله فيها اختيار واكتساب ، واليه ذهب حملة علم الشريعة ، فلو حرك أحد يديه ثم قال « زوجة المحرك طالق » أوقع به الطلاق باجماع أرباب الفتاوى .

واعلم ان كل شيء هو بعلم الله ، فكلما كان ويكون في الأكوان فهو بعلم الله ومقداره ، ولكن الكلام راجع الى مكتسب النفوس ، فان كان ما يفعله النفس من الشر من الله فكيف يعاقبنا على فعله ، وان كان منا ومنه فالجناية على الفاعلين ، وان كان منا فالجناية علينا .

ألا ترى الى معنى قوله تعالى : « ان النفس لأمارة بالسوء» وقوله : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » أضاف فعل العبد الى الفاعل وأعطاه جزاء اللعن والتخليد ، كما خاطب المتقين « جزاءً بما كنتم تعملون » .

وأما الأمور السماوية كالصواعق والزلازل والأمطار والرياح والرعود والبروق والحياة والموت والغنى والفقر والعمى والزمانة والجنون والجذام والبرص فهذا هو الى الله ليس لأحد فيه مدخل

وانما الكلام في اضافة الفعل الى النفس « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » اضاف الفعل اليها كما اوجب الجناية عليها ، فالجزاء قرائن الأعمال . فأنظر كيف اضاف الزنا الى الزاني والسرقة الى السارق ، وهو بفعلهما عالم والشرح يطول .

فجاهد في اكتساب المعاني فليست تخلو من الفوائد ، اذا كنت مغالباً بصور صادقة من غير تجربة وامتحان .

فقد اختفى رسول الله (ص) بجبل حراء مدة عشر سنوات أو سبع ثلاث واكثرالاعداد اصح ، وكان ينزل في أوائل الامر الى خديجة فيأخذ الزاد ويرجع حتى قال الناس من شدة انقطاعه وانزوائه : ان محمدا قد عشق ربه . فلم يزل بالالهام والمجاهدة حتى تخلصت له السعادة الدائمة النبوية وظهرت منأفعاله وأقواله دلائل النبوة .

فصقالة الذكر عملت في المرآة القلبية حتى تجلت لها الحضرة الربوبية ، ورفعت أستار الغفلة ، وبقيت النفوس مشاركة لأجرام الفلك الأعلى ، وازدوجت بالملائكة ، واعتصرت منها أعاجيب

الغيب ، وخلعت نعل حب الدنيا من قلوبها ، وكنست بيت الرب وقلعت منه حشائش الوساوس .

ولما كانت الشريعة المطهرة نهت عن الستور المصورة عليها صورة الكلب ، نظرنا أن في القلب عشرة كلاب مربوطة الى جنب سرير دولة الايمان أحالت بينها وبين ربها والأملاك ، اذ صورة الكلب تمنع دخول الملك الى البيت الفسيح الرتبة ، فكيف القلب مع صغر حجمه ، فكلب الحرص وكلب الطمع وكلب الشره وكلب النميمة وكلب الحسد وكلب الشح والبخل وكلب الرياء وكلب النفاق ، وأبو الكلاب هو كلب حب الدنيا وهذه توابعه ، فاذا طهر القلب من هذه الأجناس والوساوس الخسيسة صحى غيمه وطاب وقته وتجلى له ربه ، اذ القلب بيت الرب ، واختلط بالملائكة وسمع خطابها بغير واسطة واستجلب الغيب من وراء ستور الغفلة .

وكان موسى عليه السلام اذا أراد خطاب الله يختفي أربعين يوماً في عريش ثم يرقى الى مخاطبة الله في الجبل ، وبرهان القرآن قد نطق بذلك اذ يقول تعالى : « فتم ميقات ربه أربعين ليلة » ويعضده قول المشرع : « من أخلص لله أربعين صباحاً انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » .

والسر في الحديث الشريف أن جسد الانسان مركب من

العناصر الأربعة ، ولكل عنصر غائلة ، ففي كل عشرة أيام يتطهر القلب من وزر عنصر وغائلته ، كما ان الغضب يتولد من حدة النار وهو الصفراء ، ولذلك قال صلى الله عليه وآله : « الغضب قطعة من النار والماء يطفئها ، فاذا غضب أحدكم فليتوضأ » .

وقد سمعت بقصة أمية بن أبي الصلت وما كشف له من الملك الذي عن يمينه وشماله ، ونحن نذكر قصته في مقالة الذكر فقوله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن عبثاً : « من طلب وجدّ وجد » و « بالخدمة تنال المقاصد » .

ألا ترى الى ما يتخذ من الصوف والقطن والابريسم فله قيم متفاوتات ، ففيه ما يساوي درهمين وعشرة ومائة ، فسرّه من الخدمة ، وما جاءت لأحد سعادة من غير تعب الا لنوادر الناس وهذه حالة يشبه حال صاحب الكيمياء ، فالناس لا يتركون مكاسبهم لاجل الكيمياء بل يتطلبون أرزاقهم بسبب الحركات « فأمشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » ، « وسيروا في الارض فانظروا » .

وليس رزق الفلاح كرزق المتوكل المنقطع الى الله تعالى ، اذ قال صلى الله عليه وآله : « لو اتكلتم على الله حق الاتكال لكنتم كالطيور تروح خماصاً وتغدو بطاناً » .

ولكنك اخدم حتى تستحق درجة الكرام ، فابريسم دودة القز بعد التعب والخدمة يكون دواج الملك [١] ، وكلاب الماء في بحار السقسين والبلغار لا تخالط الحيوان بل لها مساكن الوحدة والانقطاع ، وهو الذي يصير جلدها اكليل الملك .

فهذه الاشارات كافية ، ومنها ثارت الولايات للنبوات بظهور المعجزات ، فصار لكل طبعاً غالباً واكسيراً جاذباً ، فمن أنكر المعجزات والكرامات فقد فاته صفاء المشرب من حسن الظن ، ولو انغمس في المجاهدات لارتسمت فيه المشاهدات وصار كله اكسيراً ذهبياً ، فان الفراش المحرقة نفسها في شمعة السلطان يعجن جسمها وما بقي من دخانها في شمع قصور الملوك كما قال الناظم :

لاتيأسن اذا ما كنت ذا أدب   مع الخمول بأن ترقى الى الفلك

بينا ترى الذهب الابريز مطرحاً

في الأرض اذ صار اكليلا على الملك

وبقدر الهموم تكون الهمم ، فهذه الموارد عند من تعلق بها تكون سبباً لنيل الأغراض ، اذ ينقلب الطبع بالمجاهدة اكسيراً فنيل الرتب لا ينال الا بالتعب ، وهذه دواء وعمل يحظى به علو المنازل لكل من طلب الثواب والثناء ، فاذا فاتك فانما أنت جيفة

(١) الدواج : ما يلبس وما يلتحف به .

تستتر في الأرض خوفاً من ريحك القبيح بأرذل الهمة . وانما أطيب الأطعمة يجاورك ليلة فيحدث منك ما تأنف منه .

فاتق الله وجاهد ، فلو مت في الطريق فقد وقع أجرك على الله ، وان وصلت فعليك الجهد للوقوف بالباب ، كما قيل : عليَّ أن أزوركم وما عليَّ أن اصل .

وقد ذقت طعم ما تشاهده في المنام من ثمرة المعصية والطاعة فالليل والنهار خزانتان فاملأهما درا ولا ضرا ، فلابد من عرض بضاعتك على الملك فأما واما ، فالبهارج للنار والصالح لخزان الاخيار ، وافضل الاعمال احمزها ، وهذه الاشارة كافية لهذه المقالة الشافية ، والسلام .

المقالة الثامنة والعشرون
في الاذكار

اعلم ان الآيات والاخبار الدالة على استحباب الذكر كثيرة فمن ذلك قوله تعالى : « فاذكروني أذكركم » وقوله : « اذكروا الله ذكراكثيرا »وقوله تعالى :«ولذكرالله أكبر»وقوله : «واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين » .

---

(١) البهرج : الباطل الزائف من الأشياء .

ففيها بين المراتب والأوقات ، والذكر الخفي اجمل ، اذ ليس فيه أذىً لسامعه ، وهو خالص عن الرياء والنفاق ، مثل صوم السر وصدقته ، والحث عليه كثير :

وقد سئل رسول الله (ص) في رجل يتصدق بمال حلال وآخر يذكر الله من صلاة الصبح الى طلوع الشمس فأي الرجلين أفضل ؟ فقال النبي (ص) : ولذكر الله أكبر .

وفي الحديث: انهمن ذكر الله منطلوع الفجر الى طلوع الشمس فله أجر من تصدق بمائة ناقة حمراء حملها من ذهب أحمر ، وكأنه قد أعتق ثمانية رقاب من بني عبدالمطلب .

ثم الذكر له ثلاث وظائف : فذكر الظاهر بلقلقة اللسان فهذا يستحب في التلاوات من هياكل العبادات ، والذكر الخفي هو اكسير العبادات ، وذكر القلب ومنه يحدث الغنى عن العالم والاشتغال بالمحبوب كما في الحديث القدسي « أنا ذاكر من ذكرني وجليس من شكرني ، وحبيب من أحبني ، من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ من قومه ذكرته في ملأ من ملائكتي » .

ثم يحصل من الفناء الاول فناء ثان ، وهو أن تغيب النفس لمشاهدة حضرة القدس ، فيصير الذكر لك عادة وعبادة ،

فاذا كشف الموت عنك أعباء الأثقال عدت في عادة ذكرك مع الملائكة الذاكرين ، اذ الخير عادة ، ويطاف بك في ساحة حظيرة القدس ، وتحظى بقرب من ذكرت ، وهو قرب اكرام ومنزل احتشام ، وهذا الذكر هو القرآن ثم بعده التسبيح ثم الصلوات على النبي (ص) ثم استغفار ودعاء .

فهذه وظائفه فواظب عليه ، فانه يكشف لك من سر الربوبية ما يغنيك عن ملتمس كل حال ، تشاهد الملائكة ويخدمك مؤمنوا الجن وتطيعك أعضاؤك ويزول وقر اذنك فتسمع تسبيح الجمادات « وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » .

وقد يحصل من ثمر الذكر أكثر ما مر بك في تهذيب النفوس .

ويثمر عليك أيضاً بعض ما أثمر على زين العابدين ذي الثفنات السجاد عليه السلام فانه كان يسجد بين الليل والنهار الف سجدة فأثمر عليه لأنه كان اذا قام في صلاته تنكشف له الكائنات فيطلع على حومة حظيرة القدس .

وبه بلغ أصحاب المقامات درجات المكاشفات والسير على الماء والهواء ، وبه سمت الملائكة الى اعلى قلل الشرف واستحقوا دوام البقاء للتنزه عن المأكل والمشرب مع مداومات الذكر وشراب الفكر ، وهو التنزيه والتسبيح ، وبه تجذب الملوك الى المتزهدين

وبه تنال مراتب العاشقين ، ويحدث منه خاصية جذب القلوب •

وقد يقف الذاكر الصادق على باب حسن الآداب ويحل بالذكر طريق الأسباب ، فيخلع نعل حب الدنيا عن قدم إقدامه ، ويقطع عوسج وساوسها ببلوغ مرامه ، ويقف على طور صفاء قلبه في وادي تقديس لبه ، وهناك يسمع كلام ربه « اني أنا الله رب العالمين » •

ويكفيك ما مرَّ من قصة امية بن أبي الصلت الثقفي ، وكان يترشح الى طلب النبوة ، فقال لأخيه : ها أنا انام فاصطنع لي طعاماً • قال : فبينا هو نائم اذ رأيت قد نزل طائران من النافذة فشق أحدهما صدره ثم أخرج منه نكتة سوداء فقال أحدهما : أوعى ؟ قال : نعم وعى علوم الاولين • فقال : او زكى ؟ فقال : لا • فقال : رد فؤاده اليه فليست النبوة له وانما هي لسلالة عبدالمطلب ، فلما اتنبه أخبره بالقصة فبكى وتمثل :

باتت همومي تسري طوارقها	أغض عيني والدمع سابقها
مما أتاني من اليقين ولم	أوت براءاً تقض ناطقها
اما لظى وعليه واقدة النـ	ـار محيط بهم سرادقها
ام اسكن الجنة التي وعد	الابرار حفت بهم حدائقها
هما فريقان فرقة دخلت	الجنة مصفوفة نمارقها

وفرقة منهما قد أدخلت النار وقد ساءت مرافقها
لا يستوي المنزلان ثم ولا الأعمال لا يستوي طرائقها
تعاهدت هذه النفوس اذا همت بخير عاقت عوائقها
وصدها للشقاء عن طلب الجنة ديناً الله ما حقها
عبد وعى نفسه فعاتبها يعلم ان البصير رامقها
ما رغبة النفس في الحياة وان تحيا طويلاً فالموت لاحقها
يوشك من فر عن منيته يوماً على غرة يوافقها
ان لم تمت عبطة (١) تمت هرما الموت كأس والمرء ذائقها

وبها مات مصدوع الكبد ، منعه شركه عن نيل مقصده و « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

واعلم ان الشهوات قاطعة واللذات مانعة ، ومن رام الماء صبر على الكدر ، ومن قطع الليل خلص عن حر الطريق ، ومن جعل نفسه ذليل الشهوات كان مسقطه الكنيف والخلوات ، ومن قطع العلو بهمة المجاهدات نال أعظم المراتب بالصبر على المصائب والنوائب ، وما صاحب المأكل الكثير الا ويتخطى سوء التدبير وهو مستور لا يفلح أبداً .

---

(١) اعبط فلان : مات شابا لاعلة فيه .

المقالة التاسعة والعشرون

فى تدبير جهاز النفس

قال النبي صلى الله عليه وآله : « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » قالوا : يا رسول الله وما الجهاد الأكبر ؟ فقال : مجاهدة النفس .

وقال (ص) : اعدا عدوك نفسك التي بين جنبيك .

وقال (ص) : بعثت لاتمم مكارم الاخلاق .

واعلم ان النفس أخلاقها ذميمة غير مستقيمة ، فان فيها مع صغر حجمها — كما قلناه — ما في السماوات والأرضين ، وهي النار الموصدة فيها ذئاب الغلبة وكلاب الشهوة وسباع الغضب ونمور المخالفة وثعالب الحيلة وكمين الشياطين بعسكر الهوى ومناجيق الامتحان ووساوس القبيح ، كل هذا مكمن تحت قلة قلعة النفوس محيط بربضها وحصنها .

واعلم ان القلب مدينة وساكنها الملك ، وهي النفس اللطيفة المدركة العالمة الطاهرة الربانية الخارجة عن صفة النفخة والمشار اليها بالروح ، وهي مجموعة بالابخرة الظاهرة المتولدة من دم القلب ذي الشكل الصنوبري واللحم المجوف .

وما هذا هو القلب المخاطب ، وانما الروح هي المخاطبة من

قوله : « فاتقون يا اولي الألباب » وقوله : « ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب » ، وهو معنى قوله : « أذن واعية » .

والنفس المشار اليها هي أسيرة الشهوات ، مقيدة بقيد الغفلات ، مشوهة مستورة بالخيالات ، عاشقة للدنيا قد أطعمت بنجسها فأصبحت مخبطة سكرى قلقة حيرانة مشتغلة بخدمة الجسد الترابي تحمله للكنيف ، مشغولة بتربيته وتغذيته ، ألفته فعشقته فاذا فرق بينهما تأسفت حتى اذا مرّ عليها بمثل قدر ما خدمته بطول المدة نسيته وأنكرته ، كأنها ما عرفته ، فاذا ردت اليه نفرت حتى تسمع اشارة القدس : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك » .

هذا خطاب موجد لموجود غير مفقود ، اذ لا يجوز خطاب المعدوم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « تعرض علي أعمال امتي في كل اثنين وخميس ، فما كان من حسنة أسرّ بها وما كان من سيئة استغفر لها » وقوله صلى الله عليه وآله : « اشتد غضب الله على الزناة » وقوله : « اكثروا من الصلاة علي فان صلاتكم عليّ معروضة » .

فأيها المكذب المذبذب الغافل المتأول أراك تعجز الصانع القادر ، وتزعم يا مسكين ان لا عود للأجسام والأرواح الى الصانع

القديم القادر ، اهو ذاك أم غيره سواه ؟ اتتجحد عليه وتتحكم وتعجزه في قدرته وآيته ، أفمن رباك في بطن أمك لا يقدر أن يربيك في بطن قبرك ثم تقول : اذا اختلطت العظام بعضها ببعض فكيف السبيل الى تخليصها ، فانظر الى الصانع كيف يخلص من التراب برادات الذهب والفضة والحديد وهي أجزاء تعجز أنت عن خلاصها ، فالصانع القادر ليس بعاجز ولا يدخل تحت طوق ما تريد ، وانما أنت عاجز تعجز وتغتر بمقالات أبي علي بن سينا ، أفقد صار عندك أصدق من محمد (ص) فانظر الى فعل هذا وهذا ثم أحكم بالفسق والعدالة وارفع الحكومة الى حاكم عقلك في التصديق والتعديل واحسبهما حكمين .

فان قلت « هذا عقل وهذا نقل » فانظر ما يذكرون لك من حوائجك الطبية هلا تسأل عن خواصها وبراهينها وتقول لم يقبض هذا ويسهل هذا ، فيكون جوابك عنده انما أنت معارض لا مريض ، فكيف تعارض طبيب آخرتك وقد كان الذين قبلك أكثر منك فكراً وعقلاً ، علموا أن الاعتراض والتعجيز كفر فأسلموا منه وآمنوا .

فجاهد نفسك واتبع شرعك ولا تخالف نبيك ، وأكرم كتابك فهو هدية الله اليك ، وقبيح بمن أكرمه ملكه بهديته أن يستهين

بها ، وعن قليل تلتقي وتتواقف وتستحي . وعند كرة الروح راجعة الى مبادئها عند بارئها يظهر لك صدق الشرع ، وهنالك يتبين غليظ التوبيخ ، والجماهير أكثر منك اذ أنت منخرط في سلك نظام الآحاد لا التواتر وتبعت طاعة نفسك فأردتك الى البلايا والا فانظر الليل والنهار والصيف والشتاء والربيع والخريف وتنقل الأحوال فيها واحياء الأرض بعد موتها ، ونومك وانتباهك بغير اختيارك ، وآيات كثيرة أنت عنها غافل .

ثم ارجع الى مجاهدة نفسك بمحو صفاتها الذميمة واثبات صفاتها الحميـدة المستقيمة ، فاقمع الغضب بالرضا ، والكبر بالتواضع ، والبخل بالبذل، والامساك بالصدقة ، والصمت بالذكر والنوم باليقظة ، والشبع بالجوع ، والغفلة بالانتباه ، والخلطة بالخلوة ، والاشتراك بالعزلة ، والمداهنة بالصدق ، والشهوة بالقمع ، والباطل بالحق .

فاذا محوت صفات آفاتك بآن لك عند رفع ستر الغفلة سر قوله تعالى : « كيف يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير » ، لكنك شيطان مريد وتزعم انك لله مريد ، فأين آثار حـلاوة التوحيد ؟!

نام رجل من بني اسرائيل في موعظة داود عليه السلام ،

فأوحى الله تعالى اليه ان يا داود من ادعى محبتي ثم ينام عند ذكري فقد كذب ٠

ولما أمر ابراهيم عليه السلام بذبح اسماعيل عليه السلام في منامه قال : يا أبت هذا جزاء من نام عن خليله ٠

وآدم لما نام خلقت حواء ، وجميع ثلمته منها ، قال الشاعر :

عجباً للمحب كيف ينام   كل نوم على المحب حرام

واعلم ان قلبك هو المدينة التي أشرنا اليها ، فيتقدم شيطان نفسك الى تعبئة جيوش الهوى ، وعساكر حب الدنيا ، ونقاب الوساوس ونقاط التمني ، ومشاعل سوء الظن ، ومناجيق المخالفة وبوق الكبر ، وطبول اساءة السمعة ، وأسياف خيل الشره ، وزحف رجل المكر « واجلب عليهم بخيلك ورجلك » ٠

فاذا أحاطت هذه الجيوش بهذه المدينة ولم يكن لها زاد ولا رجال من الأخلاق الحميدة هلكت المدينة ان لم يدفع عنها البلاء وسلبت الملك وجربت الديار ونام منها حارس الذكر وتهدمت أبراج الصدق وقعد شيطان النفس على سدة اسرار القلب ، وهتك أستار خزائن الأعمال ، ودارت في المدينة عوانية الشك ، وقطعت أشجار المعاملة ، ونهبت أموال الأعمال ، وأكلت ثمار الآمال ، ووقع الشك في الكتاب ، ونفرت النفوس عن مصاحبات

الأصحاب ، وعصى كل مولاه ، وتبع شهوته وهواه ، فكبكبوا على مناخرهم في النار «وقالوا ياويلنا مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار » .

وكلما الناس فيه من التشكيك والبلايا هي الشبه والحرام والا لصفى زادك ونظرت لشرح نور الايمان في سرك وفؤادك وانكشف لك زادك ليوم بعثك ومعادك « هي النفس ما عوّدتها تتعود » .

واعلم انك بأعمال المجاهدة تهذب نفسك حتى تصير ملكاً روحانياً ، وبمتابعة الغفلة والشهوات تصير شيطاناً رجيماً ، فجاهد النفس الأمارة بالسوء بمحو صفات آفاتها حتى تصير لوامة ، ثم انقل اللوامة الى مقام المطمئنة ، كما ينقل السلطان فراشه الى مقام الكاتب ثم الى مقام الوزير ثم يتصرف مع نصحه في الملك فينظر الى حسناته فيكون عنده سيئات ، وهذا مقام قوله (ع) : « حسنات الأبرار سيئات المقربين » .

والطريق الى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق ، والمقامات تعلو مع الأنفاس .

كان صلى الله عليه وآله يعلو من مقام الى مقام ، وهي مقامات الكشف والمعارف ، وبها نبه (ص) حيث قال : « انى

ليران على قلبي ان لم استغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة »
والدين أشد من الغبن •

واسمع نظم أمير المؤمنين عليه السلام في النفس وآفاتها :

صبرت عن اللذات لما تولّتِ وألزمت نفسي صبرها فاستمرت
وكانت على الايام نفسي عزيزة فلما رأت عزمي على الذل ذلت
وقلت لها يا نفس موتي كريمة فقد كانت الدنيا لنا ثم ولتِ
فلا الجود يفنيها اذا هي أقبلت ولا البخل يبقيها اذا ما تولتِ
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى فان أطعمت تاقت (١) والا تسلتِ

فهذبها وعذبها وقربها من بابها ، وانظر مقام الأنبياء والأولياء فيها ، واغتنم الثواب والثناء ، فما ذكر الصادقين كذكر الفاسقين « ولتعلمن نبأه بعد حين » • وللقبيح خميرة يتبين بعد قليل ، والناس نيام فاذا ماتوا أنتبهوا ، ولكنك كالعود النخر (٢) لا تحمل ثمراً ولا تستظل بك بشر ، وكالمرأة القرعاء التي باهت صاحبات الشعور بشعرها الزور ، فاذا كشف عن رأسها هتكت بين جلاسها •

وأنت رضيت بقعقعة ثيابك ونزول ثوابك •

---

(١) تاق الى الشيء : اشتاق ، فهو تواق •

(٢) نخر العود والعظم : يبس وتفتت •

غداً ترحل القوافل وتبقى على الطريق يا غافل ، وتقعد بغير زاد وتقول لشاوش [٣] القافلة « ارجعوني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت » ، هيهات غلق الرهن فلا يقال .

قالوا : يا رسول الله ما السر في نقطة دمعة الميت على خده؟ فقال : أما الصغير لما يشاهد من حال أبويه في اللوح ، وأما الكبير فيكاشف بأعماله وانتقال زوجته وأمواله .

فبماذا تتنبه وهذا الحال أنت فيه وبه ، كما قيل « عود نخر ما يحمل وأقرع ما يتمشط » فأنا ارفعك وهمتك تضعك ولا شك ان الغلبة لك ، فمن كان همته ما يدخل في بطنه كانت قيمته ما يخرج منها .

ان فهمت فاتنبه والا أنت ونفسك والخبر « وقد نصحت ولكن لا تحبون الناصحين » .

المقالة الثلاثون

فى المحبة والشوق والمشاهدة والمكاشفة والمواعظ والزواجر النقلية والعقلية

اعلم ان المحبة جائزة وجارية أولاً بين الله وأوليائه ، وقد

---

(٣) شاوش معرب « چاوش » لفظة فارسية بمعنى دليل القافلة .

نوّه بها القرآن من قوله : « والذين آمنوا أشد حباً لله » وقوله: « يحبهم ويحبونه » .

فان ثارت نفسك الخبيثة فقلت : كيف تحب من لم تره وليس من جنسك ؟! فاعلم انما تحب الصانع لما يظهر من حسن صناعته فانظر الى بساطه وما فيه من بدائع النقوش والخضر والأشجار والثمار والأنهار ، والى الفلك وما فيه من الليل والنهار وشموس وأقمار وكواكب كبار وصغار ، فهذه آيات صناعة الصانع ودالات على استمرار وجوده ، فسبحان صانع المصنوعات .

وترتيب نفسك — إن عقلت — أعظم مما رأيت وما سمعت والذي يدلك ، وهو من أقوى الدلائل في محبته ، هو لذة سماع كلامه ، اذ هو معجز لا نظير له ، ومنه يستدل على محبة المتكلم .

أما سمعت نظم الشعراء :

وكاعب قالت لأترابهـــا   يا قوم ما أعجب هذا الضرير

أيعشق الانسان من لا يرى   فقلت والدمع بعيني غزير

ان كان طرفي لا يرى شخصها   فانها قد صورت في الضمير

وأنشد الشيخ أبو العلاء المعري رحمة الله لنفسه :

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة

والأذن تعشق قبـل العين أحياناً

ان العيون التي في طرفهـا مرض

قتلننـا ثم لم يحيين قتـلانا

يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به

وهن اضعف خلق الله أركانا

وأما الأخبار فكثيرة قد ذكرناها في كتاب الاحياء ، والاشارة من جملتها كافية كقوله تعالى : « كذب من ادعى محبتي واذا جنه الليل نام عني » • ومثل قوله : « لا يزال عبدي المؤمن يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته صرت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به » — الحديث •

واعلم أن الحب والعشق واحد ، والأصل فيه هو هيام العاشق بالمعشوق ، وهو النظر استحساناً لبعض الصور بطريق الولع به ، وقد ثار عن طريق بخار حاد من خاطر ذكي لوذعي سبك نيران المجاهدة ، فظهرت أبخرة نيرانها من وراء مؤخرات الدماغ ، وظهرت ملوحات الفكر في العشق من مقدمات اليافوع ، وفتحت مصاريع خلوة القلب ، فأقعد خيال المعشوق قبالة عين اليقين ، والنفس تصقل من مرآة المجاهدة في نظر جمال المحبوب •

والأصل في المحبة هو المنادمة والألفة واستحسان كلام المعشوق • فعند ذلك تثور همة الطلب بقدح نيران الشوق ، فتستغلب عليه حالة العشق ، فيصير في الشوارع مجنوناً وصارت

نيران الماليخوليا ، فخلط الكلام واحترق البلاغم والأخلاط وصعقت سماء القلب لتجلي قمر المعشوق ، فيبقى العاشق والهاً والعاً تائها في تجلي جلال المعشوق .

فاذا انكشفت البلاغم ثارت عرائس القلب تحمل صواني نثار الأشعار ، ورقصت عرائس الآمال في مجالس الأوصال ، فزمر مزمار التمني ، وضرب مزهار التأني كما قال سابق الرجال :

تمنيتهـا حتى اذا ما تمثلت طربت كأني قد دعوت ولبت
تمنيتها حتى اذا ما رأيتهـا رأيت المنايا شرعاً قد أضلت
تمنت أحاليب الرعايا وخيمة بنجد ولم يقضي لها تمنت
فلا تنسيا أن يعفو الله عنكما ولو ما اذا صليتما حيث صلت
فيا ليتني احجـار حائط مسجد
لعزة امـا أن تصلي ولبتِ

ثم يهيج الغبار فترى بخار التمني قد تقوى من بحار العناء فترى التقسيم الواقع في القلوب ، فهنالك لا نوم ولا قرار ، اذ يظهر مبادىء النحول والصفار ، ويبرز أعراض السهر ، ويقدح نيران العشق لهزال سمان الأبدان . وينشد المغنى من غير توان :

وجه الذي يعشق معروف لأنـه أصـفر منحوف
ليس كمن أضحى له جنة كأنـه للـذبح معلوف

في الحديث الصحيح : ينادي مناد في كل ليلة : « ألا لعن الله الأكول النؤم ، يابن آدم ما لهذا خلقت » .

فاقنع ليخف حسابك ويصح جسدك ويقل أمراضك ويصلح أعراضك ويقل منامك ويكثر ذكرك ، فيجرك محبوبك اليه ويجذبك الى طاعته ويعصمك عن معصيته ، فأكثر من النوافل تفلح ، والسلام .

واعلم أن الشوق هو الداعي الى حالة المكاشفة ، اذ الشوق هو التمني للقاء المعشوق ، ولقاء المعشوق لا يحصل الا بالمكاشفة والمكاشفة إما أن يكون عياناً أو قلبية ، وهو تجلي المعشوق بحالة يحملها قلب العاشق ، لكن العيان هو أفضل بشرط جامع بين القلب والعين ، كحالة رسول الله (ص) ليلة الاسراء ، فانه تعالى كاشفة بالتجلي القلبي والنظري ، لصحة الروايتين عن عائشة وعلي وابن عباس .

واعلم أن حقيقة المكاشفة هي عين النظر الى المحبوب ، ولكن تتفاوت على قدر درجات المحبين ، اذ ليس نظر الخلق كله واحد ، فأدنى درجاتهم النظر القلبي ، أما النظر البصري فهو عند قوم عرض غير دائم ، وأعظم المنزلتين هو الجمع بين النظر والقلب.

فاذا رفعت ستور الغفلة والهوى تجلى المحبوب ، فتلاشى

المحب حتى يخرج من الستور البشرية والحجاب الجسماني ، فيخرق الحجاب ويسمع الخطاب « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب » ، فعند ذلك يمتد له حبل خطاب من الهواء في جميع ما يحدث من الكائنات ، فيصير عيسوي الحال « وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم » فتصير الملائكة ومؤمنو الجن بحكمه وطاعته ، وينخرق بينه وبين الله روزنة يعلم بها خلاصة صفاء أسرار الكائنات ، ولكن بشرط خمير العلم والعمل بصدق من غير تجربة ، فاذا هبت نسمات اللطف برفع حجاب الغفلة انقلبت له الكائنات على ما يريد ، اذ الارادتان امتزجتا واحدة ، كما سبق في أحوال الصوفية من قولهم : « فاذا أبصرتنا أبصرته واذا أبصرته أبصرتنا » .

فيصير الناسوت معنى لطيفاً يحدث له من الغيب قوة يقبل بها جميع الواردات عليه ، فمنه أثمار الكرامات والتحدث بالأمور الغيبيات التي يعرفها الباحث من جنسه وسائر الناس لها منكرون فتتجوهر النفس بزوال الأعراض الفاسدة عنها ، فتصير قدسية لا تخفى عليها الأمور الغيبية .

فان قلت : هذا نوع مشاركة عزت على الأنبياء فكيف ينالها الأولياء ؟؟

فاعلم أن أصل الغيب هو من الله القديم، فمن ّ عليهم باطلاعهم على شيء من علوم الغيب ، أما سمعته تعالى يقول : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول » ، وقوله « من رسول » هو ستر على الحال لئلا يحسب أجلاف العامة انها مشاركة غيبية ، وهذا غير بعيد ، اذ خزانة الملوك يطلع عليها المملوك ، والأمور المستورة قد يشاهدها العاشق الصادق قياساً بالصورة الحسناء يشاهدها مالكها وهي مستورة عن الغير «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » .

وقد سمعت الجنيد يقول : كل أحد حلاج لكن ليس كل أحد خراج .

وقال أبو يزيد البسطامي : من وصل درجة التمكين فهو طبيب يقعد على سرير أسرار الخلق فيطلع بأذن مالكه على خواطر أسرار الملوك ، مثل اطلاع مملوكك المحبوب عليك في حالاتك .

أليس فاطمة السلماسية كانت تخرج وقد أذن مؤذن الظهر من سلماس [١] فتصلي الظهر جماعة في بسطام [٢] .

فان قلت : هذا غير ممكن ، فانها حالة لم تنخرق للأنبياء

---

(١) سلماس : مدينة بآذربيجان .

(٢) بسطام : مدينة من مدن خراسان .

فكيف لغيرهم ؟.. الجواب : انك تحكم على الله أو على نفسك فان كان على نفسك فأنت أخبر ، وان كان على الله فانت أصغر .

فمن عجز عن عدد عروقه وعظامه ولا يحصر عدد أدوار عمامته على هامته ، فكيف يدخل بين الله وبين غلامه .

ثم أما علمك بما اعطى الله للأنبياء ، فان علمت بعض علومهم من طريق النقل فالمعجز يكذب العقل ويحكم عليه ، فبواطن أسرارك لا يطلع عليها ولدك ولا جارك فكيف مليكك وخالقك ، وقد قال لك « فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول » .

وأنت غير واصل الى كشف ستور الوصول ، فاذا بلغت المنى بالوصول تعرف ما بين الله والرسول .

وقد قلنا لك سابقاً : جاهد ولا تجاحد ، فالمجاهدة تزيل غبار الشكوك مع المشاهدة وأنت معصب العين بعصابة حطام الدنيا ، وهمتك ضعيفة خسيسة ، فأين خنافسة الكنيف من المقام الشريف ، وحسن الظن بالله هو الاكسير العظيم الذي به ينقلب كل جهل علماً ، فمن تمسك به فقد استراح ، فهذه أنواع المحبة والشوق والمكاشفة على وجه الاختصار .

فصل

وأما الزواجر والوعظيات فمثل الآيات الرادعة المذكورة

للوعد والوعيد ، والأخبار المفزعة والحكايات الجاذبة والأشعار المخوفة والمشوقة، فخوفوا المبتدىء وشوقوا المنتهي، لأن المبتدىء هو قريب من خروج دار الجهل ، فيضرب عليه سور من التخويف خوفاً من الزيغ والميل ، وأما المنتهي فقد غفر ذنبه ورق قلبه وأصابه عناء المجاهدة .

فلابد للجمل من حادٍ لقطع الوادي ، فالمجاهدة قلاشة [٣] والنغمات تنشئة ، قياساً بأرض ميتة تحيا بوابل المطر ، فتهتز وتربو وتنبت وتثبت ، وتنشر على المريد نثار الهمم .

انظر كيف قال أبو حيان التوحيدي : ان كنت تنكر أن للنغمات فائدة ونفعاً فانظر الى الابل اللواتي هن أغلظ منك طبعاً كيف تصغي الى قول الحداة فتقطع الفلوات قطعاً .

فعليك بالخلوات الأربعينية التي يسميها مشائخ العجم(چله) واعتد بها ، وليكن زادك وزناً فتنقص كل يوم منه لقمة ، أو تزن مأكلك بعود ندي فهو ينقص على قدر جفافه ، فقلل ولا تتعلل .

خفف وطفف في مأكلك تلتحق بعالم الملائكة ، ففي الحديث: « أكثركم شبعاً في الدنيا أطولكم جوعاً يوم القيامة » .

---

(٣) القلاشة ، القلاش : الشيء الصغير المنقبض ، والقلاش : المحتال .

فاذا فعلت ذلك تستغني النفس بمعارج القـدس ، وتصير لك بها أنس ، فلا تتخذ عليها محبة الدنيا والفلس حتى تنتقل اليك حالة الصفة المحمدية من قوله صلى الله عليه وآله : «لست كأحدكم أنا أظل وأبيت عند ربي فيطعمني ويسقيني» .

فهو حالات الصادقين ومنازل المتقين ، فلا تكن من المكذبين الضالين ، فان عجزت عن مقام المقربين فكن من أصحاب اليمين. والحمد لله رب العالمين .

فصـل

فى العلم والعمل

اعلم ان الخواص من خلق الله تعالى ثلاثة : عالم ، وعارف وناسك .

فأما العالم هو الذي علم واطلع على العلوم الظاهرة فعمل بها ، فيورثه الله بعلمه العلوم الباطنة ، مثل علم المحبة ، وعلم الشوق والرضا ، وعلم القدر ، وعلم المكاشفة والمراقبة ، وعلم القبض والبسط .

فهذه علوم الصوفية الصافية الصادقة الوافية ، مثل الحسن وسفيان والفضيل بن عياض وأبي يزيد البسطامي وأبي الحسين النوري وحبيب العجمي ومعروف الكرخي وشقيق البلخي ومحمد

ابن حفيف وبشر بن سعيد وأحمد الخوازي وأحمد الداراني وحارث المحاسبي وسري السقطي والحسين بن المنصور الحلاج والجنيد والشبلي وأبي نعيم القاضي •

فهذه الطائفة الالهية الذين نبغ ذكرهم ، ليسوا كالطائفة المشغولة بالعلوم والشهوات وصرفوا همومهم الى القيل والقال ففاتتهم المعاملات •

بيضوا الثياب وسودوا الكتاب ، صقلوا الخرق وما ارشدوا الخلق ، وجعلوا المرقعات شركاً على الشهوات ، فهؤلاء هم الزنابيل وأولئك هم القناديل ، أولئك تمسكوا بالواحد الشاهد ، وهؤلاء انصبوا الى محبة الشاهد [1] ، أولئك هجروا المناصب وهؤلاء دبوا الى المناصب ، أكثر كلامهم اذهبوا الشك عن المذهب حتى يذهب ، والخلاف عندهم كورق الخلاف [2] •

الأصول عندهم فضول ، والنحو عندهم محو ، أكثر علومهم الرقص والصبابة ، لا يفرقون بين القرابة والصحابة •

فما أكثر عيوبهم ، لقد نسوا محبوبهم ، تشاغلوا بمآكل

---

(١) الشاهد هنا بمعنى المحبوب الجميل ، وقد استعارها من الفارسية •

(٢) الخلاف : صنف من شجر الصفصاف له ورق كثير جداً •

الدويرات ونسوا مدارج الطاعات ، نصبوا السجادات لأجل صيد الخلق ، ونسوا الله والحق .

فهؤلاء الذين جاء فيهم الحديث : « أن الله ينزل مرقعاتهم ويعلقها على أبواب الجنة » ويكتب عليها : مرقعات زور ، تركوها لاكتساب المناصب أو هبوها لكلب أهل الكهف وأقسموا جلده عليهم عوضاً من مرقعاتهم .

فهؤلاء صوفية الدنيا وأولئك صوفية الاخرى ، جمعوا بين العلم والعمل ، وسهروا حتى ظفروا ، قالوا فنالوا ، وصدقوا فحققوا ، وعلموا ثم عملوا ، فجمعوا بين المقال والحال ، فهم أهل العلم والمغفرة والنسك والزهادة ، فأحدثت لهم جميع هذه الحالات خاصية قوة الهية ، فطاروا بأجنحة الاشتياق الى رياض القدس وحظيرة الصمدية ، واقتطفوا علوم الغيب ، فهؤلاء فقراء الآخرة وصوفيتها الذين علموا أن النعمة هي من المنعم ، فتركوا الاسباب جوانب .

وأما علماء الآخرة فمثل الحسن البصري ، وسفيان بن عيينة والثوري وصاحب المذهب ، والطائي الطاهري ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي الكوفي ، ومالك ابن أنس المدني ، ومحمد بن ادريس الشافعي المطلبي ، وأحمد

ابن حنبل الشيباني المدني ، وابن شريح ، والحداد ، والقفال ، وأبو الطيب ، وأبو حامد ، واستاذنا امام الحرمين أبو المعالي الجويني ، والشيخ الامام أبو اسحاق ابراهيم الفيروزآبادي المعروف بالشيرازي ، فقد جرى له مع شيخنا نوبة عند السلطان وكنت حاضرها ، فما رأيتهم طلبوا بالمناظرة غير إظهار الحق ، لا غلبة ولا صقل كلام ولا نقص في الخبر النبوي ، ولا تأويل باطل في متن آية ، ولا مزاعقة ولا مخاصمة ، بل هو على طريق الفائدة والمباحثة ، فأولئك علماء الآخرة الذين تشبهوا بصحب رسول الله (ص) بترديد الفتاوى من واحد الى واحد وقالوا : أميركم أحق بالتقليد .

ونحن علماء السوء ، نشتغل بسواد الليقـة وبري القلم والتصدي والتحدي وذرب اللسان وسواد الطيلسان وقعقعة الثياب وطول الأردان وسعة الأكمام والصيحة والدهشة « ولا ينبئك مثل خبير » .

فانظر الفرق بين الطوائف والفرق ، أليس في الحديث « من ترك المراء وهو المحق بني له بيت من ذهب في أعلى الجنة » فنحن لا بيوت ولا تخوت ولا حور ولا قصور .

رأى الشافعي مناماً وكان قد تكلم في مسألة مع أبي يوسف

فرأى كأنه قد أدخل الجنة ، فرأى حوراً وهي تشرق العرصة من نورها . قال : لمن أنت ؟ فقالت : لمن ترك المراء وهو محق ، ثم ولت وهي تقول :

خلطوا الحق بالقبيح فزورا　　ثم مالوا الى المراء قشورا
ثم راموا من الإلـه بدورا　　قد فجرتم من المقـال كبيرا
وطلبتم من الالـه أجورا　　سوف تجزون في المعاد سعيرا

ثم قالت : يا شافعي ما تنال بالقال والقيل ، هذه الثياب والخلاخيل ، ان كنت صادقاً وتريد أن يكون للجنة مالك فعليك بالعلم والعمل ، فمن أراد الممالك يصبر على المهالك ، ثم انتبهت فعلمت ان اتباع الهوى لا يقوى الا الى الهوى « والآخرة عند ربك للمتقين » .

وفي الحديث : ان العلم يهتف بالعمل ، فان أجاب والا ارتحل .

فهؤلاء علماء الدنيا وعلماء الآخرة ، وفقراء الدنيا وفقراء الآخرة ، وأنت مشغول بالكرم عن الكرامات ، وبالقصور عن القصور العاليات ، صرت مثل الذئب همك في التشكيك والتكذيب :

سوف ترى اذا انجلى الغبار　　أسابق تحتك أم حمـار

وأما العلوم فكثيرة وأقربها ما دل على الآخرة ، مثل علم

الشريعة ، كتفسير الواحدي ، وامتنان الصحاح ، وقراءة القرآن ومحافظة الأوراد المذكورة في كتاب الاحياء ، وان اردت حسن العقيدة على وجه الاختصار فعليك بلوامع الأدلة وهو لشيخنا امام الحرمين أو قواعد العقائد ، وان أردت سلوك طريق السلف فعليك بكتاب نجاة الأبرار ، وهو آخر ما صنفناه في أصول الدين .

وقد ذكرنا لك التصانيف في معرض هذا الكتاب فاقرأ ما شئت واعمل ما شئت ، فان اللقاء قريب .

واعلم أن فصول السنة معروفة ، مثل صيفها وخريفها وشتائها وربيعها ، فمن الحمل الى الجوزاء ربيع ، ومن السرطان الى آخر السنبلة صيف ، ومن الميزان الى آخر القوس خريف ، ومن الجدي الى آخر الحوت شتاء ، « وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : هذا الهواء اذا أقبل فتلقوه واذا أدبر فتوقوه ، فانه يفعل بأبشاركم كما يفعل بأشجاركم ، أوله مورق وآخره محرق .

ففي العلوم ما يضر ، مثل العمل بالسحر والكهانة وصبغ الصفر فضة اذا قلبها فضة بالصناعة وباعها .

وفي المكاسب مكاسب خسيسة تأباها النفوس كالغسال

والحفار والكناس والحجام .

والصنائع والمهن من جملة العلوم المفهومة التي تعينك على طلب العلم الاخروي ، فكن عالماً عاملاً تنال المقصد الأسنى في دار الله الحسنى ، وهنالك تستقر نفسك من غير ضجر ، « في جنات ونهر . في مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

وعليك لتحصيل العلم بالسفر ، لقوله صلى الله عليه وآله : « اطلبوا العلم ولو بالصين » ، وفي السفر تشاهد العجائب وتجتمع بالمشائخ الذين هم بحور العلم ، وهو سر قوله صلى الله عليه وآله : « سبعة أبحر من الجنة : سيحون ، وجيحون ، ودجلة ، والفرات ، ونيل مصر ، وعين الأردن ، وعين سليمان » ، ومن هذه الأنهار تستفاد العلوم على تنوعها ، وكل اقليم قد اختص بعلم من العلوم وأقبل أهله على ذلك العلم اقبالاً .

فالسفر فيه عجائب وغرائب ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ان بالمغرب هاهنا لأرضاً بيضاء من وراء قاف يقطعها الشمس في أربعين سنة مرة » . قالوا : يا رسول الله أوفيها خلق؟ قال : نعم فيها قوم مؤمنون لا يعصون الله طرفة عين ، لا يعرفون آدم ولا ابليس ، بينهم الملائكة يعرفونهم شريعتنا ويحكمون بينهم ويدرسونهم الكتاب العزيز . قالوا : يا رسول الله زدنا من هذه

الأعاجيب . فقال : ان لي صديقة من مؤمني الجن غابت عني سنين فسألتها : أين كنت ؟ فقالت : كنت عند أختي من وراء الأرض البيضاء التي وراء قاف . فقلت : أوهم مؤمنون ؟ فقالت : نعم قرأت عليهم كتابك فآمن به قومنا . فقلت : وما وراء تلك الأرض ؟ فقالت : جبال ثلج وماء وهواء وظلماء ثم وراء ذلك جهنم فقلت : أوتصعد الشمس في تلك البلاد ؟ فقالت : نعم .

وأما حديث تميم بن حبيب فعجيب ، حيث اختطفته الجن فشاهد من عجائبها حتى رأى القصر الذي فيه الدجال مقيداً ، فقال له : من أي الأمم أنت ؟ فقال : من أمة محمد . فقال : أوقد بعث ؟ فقال : نعم . فقال : آن وقت خروجي .

واما حديث جن العقبة فأعجب . قال عبدالله بن مسعود : مشيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب (ع) في ليلة مظلمة حتى وقف بنا على ثقب ، فظهر منه رجل فقال : انزل بنا يا رسول الله ، فناولني فاضل ثيابه ثم أخذ بيد علي ونزلا في الثقب وأقعدني مكاني ، فلما برق بارق الصبح عادا ومعهما رجال يشبهون الزط (١) فقال : هؤلاء اخوانك المؤمنون وكان معي ماء فيه شيء من منبوذ التمر ، فشرب منه وتوضأ .

---

(١) الزط : طائفة من الهند ، واليهم تنسب الثياب الزطية .

وهذا صحيح من غير نزاع ، وقد أوله أرباب الهوى على اختيار ما يريدون ، فمن أراد أن يعلم حقيقة هذا وغيره فلينظرن في كتاب « معايب المذاهب » ، وهو من جملة تصانيفنا .

وأما قصة زعيم بن بلعام فهي عجيبة ، وقد أراد أن ينظر من أين منبع النيل ، فلم يزل يسير حتى وجد الخضر عليه السلام فقال له : ستدخل مواضع ، ثم أعطاه علائمها ، فوصل الى جبل وفيه قبة من ياقوت على أربعة أعمدة والنيل يخرج من تحتها وفيه فاكهة لا تتغير ، قال : فرقيت رأس الجبل فرأيت وراءه بساتين وقصوراً ودوراً وعالماً عظيماً ، وكنت شيخاً أبيض الشعر فهب نسيم سوّد شعري وأعاد شبابي ، فنوديت من تلك القصور : الينا يا زعيم الينا فهذه دار المتقين ، فجذبني الخضر ومنعني .

وأعجب من هذا الحديث حديث بلوقيا وعفان ، فحديثهما طويل واشارة منه كافية ، فقد بلغ من سفرهما انهما وصلا الى المكان الذي فيه النبي سليمان عليه السلام ، فتقدم بلوقيا ليأخذ الخاتم من اصبعه ، فنفخ فيه التنين (٢) الموكل معه فأحرقه ، فضربه عفان بقارورة فأحياه ، ثم مد يده ثانية وثالثة فأحياه بعد ثلاث ، فمد يده رابعة فاحترق وهلك ، فخرج عفان وهو يقول :

---

(٢) التنين : الحية العظيمة .

أهلكوا الشيطان أهلكوا الشيطان . فناداه التنين : ادن أنت وجرّب ، فهذا الخاتم لا يقع في يد أحد الا في يد محمد اذا بعث ، واذا شاهدته قل له : ان أهل الملأ الاعلى قد اختلفوا في فضلك وفضل الأنبياء قبلك فاختارك الله على الأنبياء . ثم أمرني فنزعت خاتم سليمان فجئته (ص) بها ، فأخذها رسول الله (ص) وأعطاها علياً عليه السلام فوضعها في اصبعه ، فحضر الطير والجان والناس يشاهدون ويشهدون، ثم دخل الدمرياط الجني — وحديثه طويل .

فلما كانوا في صلاة الظهر تصور جبرئيل بصورة سائل طائف بين الصفوف ، فبينا هم في الركوع اذ وقف السائل من وراء علي عليه السلام طالباً ، فأشار علي بيده ، فطارت الخاتم الى السائل، فضجت الملائكة تعجباً فجاء جبرئيل مهنئاً وهو يقول : أنتم أهل بيت أنعم الله عليكم ، وأنتم الذين « أذهب الله عنكم الرجس وطهركم تطهيراً » .

فأخبر النبي (ص) بذلك علياً فقال علي : ما نصنع بنعيم زائل وملك حائل ودنياً في حلالها حساب وفي حرامها عقاب .

فان اعترضوا وقالوا : اذاً كيف قاتل معاوية على الدنيا ؟

فالجواب : انه قاتل على حق هو له يصل به الى حق .

وأما التحكيم فباطل غير صحيح ، لأن التحكيم انما يكون على موجود ومحدود ومعروف ومعلوم غير مجهول ، فهذا فقه وشرع .

فمن أراد أن ينظر في كشف ما جرى في قضية التحكيم فيطلع في كتاب صنفته وسميته « نسيم التسنيم » .

وفي قصص ذي القرنين كفاية واعتبار لمن أراد الاطلاع على ما أودع الله من العجائب والحكمة في مختلف أنحاء هذه الكرة الترابية .

ثم انظر في كتاب « رياض النديم » لابن أبي الدنيا ، وانظر في كتاب « الأقاليم » وانظر في كتاب « المسالك والممالك » وكتب الماوردي الموصلي .

ثم اذا أردت أن تعرف سعة الأفلاك بعضها على بعض : فاعلم أن سعة الأرض فهو قطع الكوكب في ليلة واحدة ، وأما الفلك الهوائي فقد يقطعه القمر في شهر ، فانظر الى الفرق في القطع في ليلة وشهر ، ثم الفلك الناري تقطعه الشمس في سنة ، ثم فلك زحل وهو الأعلى ويقطع فلكه في ست وثلاثين سنة ، ثم فوقه الكرسي والعرش الذي هو سقف الجنان الثمانية التي واحدة منهن بعرض السماوات والأرضين ، فخذ دليلك من هذا

المساق المذكور .

فما لهمتك الناقصة لا ترفعها الى درج المعالي ولا تكسوها سهم السعادة ، بل أنت مشغول بالنفس الخبيثة وخدمتها ، فأنت كالذي عشق حماراً فأشغل به قلبه ففاته سير القافلة ، فظهر له قاطع الطريق .

وهذه دار أحلام والأنبياء والعلماء مفسرون للمنام ، فعند الانتباه يتبين لك صحة التأويل ، أما سمعت الاشارة « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » .

ومثلك في دنياك كمثل طفلين في بطن واحد ، قال أحدهما لصاحبه : أما أخرج عسى أرى غير هذا المكان والعالم ، فلما خرج ورأى سعة الدنيا هل يطيب له أن يعود الى ضيق بطن أمه . وهكذا أنت اذا خرجت الى سعة آخرتك لا يطيب لك العود الى دنيا حملتك كضيق حمل امك .

ومثلك في باب مولاك كرجل أراد الدخول الى ملك وهو جائع ، فوجد على باب الملك كلباً ورغيفاً ، والكلب يصده عن الدخول ، فان كان ذا همة عالية آثر حضرة الملك على الرغيف فيدخل على الملك فيحظى بالمآكل اللذيذة لأنه شغل الكلب برغيفه فتشاغل الكلب بالرغيف ودخل هو الى الملك ، وان كانت همته

في بطنه أكل رغيفه فصده الكلب عن الدخول على الملك ، ثم يتعفن الرغيف في بطنه وبعد ساعة رماه .

فدنياك هو الرغيف والكلب هو الشيطان يصادك عن الدخول على الملك ،فارم الرغيف الى الكلب تسترح ،واكتسب من جواهر الأعمال تشرف بها عند عرض البضائع ونيل المتجر الباقي في دار زفاف الحور وفتح أبواب القصور :

تركت للناس دنياهم ودينهم حباً للقياك يا ديني ودنيائى

فأنت مثالك كجماعة سافرت الى وادي الظلمات ، فقال لهم الخبير بالمكان : « احملوا من حصاه تظفروا » ، فصاحب حسن الظن بالله حمل فأوقر ، والمتشكك أبطل فتحقر ، فلما خرجوا من الوادي الى ضياء الشمس وشاهدوا بضائعهم فاذا هي در ويواقيت فهنالك ندم المبطل وفاز المحمل .

فهذه صورة أعمالك في دنياك ، فاما أن تنادم فيصير غلاماً واما أن تعمل فتحظى من الله تحية وسلاماً .

فدع كبرك وقلل شبعك ، ونظف بطنك ، ومن كثرة النوم عينك ، عساك تقطع شينك وتوفي دينك ، فأنت الذي تنتنك العرقة وتوهنك البقــة وتقتلك الشرقة ، وملابسك من قزة ، وحلاوتك من نحلة ، وخبزك من تبنة ، وأنت غداً مستور بلبنة،

وغداً تؤاخذ بنعيم دنياك •

أما سمعت النبي حاسبه الله على شبعة مرة واحدة من خبز شعير وتمر ، ووبخه حيث قال له : « ولتسئلن يومئذ عن النعيم» •

فصـــل
في علو الهمم

واعلم ان علو الهمة هو اجماع القلب المهتم وجمعه لنيل مقصد بالتوجه اليه دون سواه ، من غير قلب متوجه لغيره ، وصاحب الهمة لا يكون همه في مقصده لنيل أغراض متفرقة ، كمن أراد اعمالاً لا يقع في يده غير عمل واحد •

وان همة كل واحد على قدر نفسه في علوها وطهارتها ، ألا ترى الى أصحاب الصنائع الخسيسة كالكناف والزبال والاسكاف والدباغ والغسال ، فهؤلاء هممهم على قدر خسائس أنفسهم النازلة لسابق ما قدر لهم عند اعتصار روح السعادة من عجين الطالع في خمير الولادة ، وهذا حال يتعلل به العاجز ، فاذا علمت أن الملك معشوقك فلا تألف الخسائس ، فليس هذا أنساباً معلقاً بالأب والأم ، وانما هي بعلو الهمة •

كما كانت من أول الفيض الصادر عن النفس الكلية همم

العلماء والملوك ، ثم كلما تباعد الفيض عن النفس الكلية رذلت الهمم ، كما رذل الحيوان بعد فيض الانسان .

ألا ترى همة الفيل والحمار في المأكل والمشرب ، فهذا همه بريح وهواء وهذا همه بتبن وشعير .

هذا ، وانظر الى همة ذي القرنين وهو ابن هيلانة وأبوه نساج ، كيف تعرض بعلو الهمة الى الملك ولم يتنازل الى الصنائع فمثله في العالم كثير ، ومن جملة علو همته استيلائه على قوم ياجوج كما جاء تصريحه في القرآن الحكيم .

وقد اتخذ المتقدمون ألحان الموسيقى ، أو زعموا أنها معتصرة من دورات ألحان الأفلاك حين تدور ويسمع له نغمات بطرائق وأوزان غير خارجة ، وزعموا أنها عن موسى وادريس ، وطائفة اخرى زعمت أن العود متخذ من شكل طائر معلق في جبل في أنفه أثقاب ومخارج بعدد مخارج ، وهذا من جملة فروع الهمم .

فنيل المقاصد من غير همة غم لمن عشقها ، واكتساب الهمم ونيل مقاصدها للعلماء بالدرس والمواظبة والجوع والصبر ، ونيل مقصد الزهاد بالرياضة والخمول وترك اللذات ، ونيل مقصد المملكة هو الاشتغال فيما يجذبها عن الهيبة والشوكة وما يشاكلها .

فان قلت : هذه سعادات أزلية ، فمن قدر له السابق في شيء

أخذه وبلغه ، ولا يمحى ما سطر على جبين العبد فقد صدقت ، ولكن مت تحت غبار العز لا على مزابل الشهوات بالذل ، أما مر بك انشاد السابق :

أطلب العز في لظى وذر الذل ولو كان في جنـان الخلود

وقد سمعت كلام معاوية ، اذ قال : « هموا بمعالي الامور لتنالوها ، فاني لم أكن للخلافة أهلاً فهممت بها فنلتها » .

وقد ذكرت حكاية في كتاب « خزانة سر الهدى والأمد الأقصى الى سدرة المنتهى » أنه مات بعض الملوك فغلقت المدينة وقالوا : لا نملك علينا الا من كان في ساعده علامة نور شعشعاني فورد اليهم رجل فقير وفي ساعده نور كما كان في ساعد الملك المتقدم ، وكان ينظر اليه وزير المدينة بعين الدراية بعد أن ملكوه البلد ، فدخل اليه الوزير بهدية ، وهي قشرة من عود قماري كجفنة كبيرة ، فقال الملك : من اين لك هذا ؟ فقال الوزير : كثير مثل هذا يجيء في نهرنا . فقال الملك : لا تستقر في الوزارة حتى تأتيني بخبره وفي أي بلد يكون ، فاتخذ الوزير له مركباً وسار حتى دخل تحت جبل ، فلما قطعه بخروجه الى جانبه الآخر رأى بلاداً أشجارها كلها مثل هديته ، ثم رأى جماعة قائمة منقطعين في جبل ، فقال : ما الذي يريدون هؤلاء ويفعلون ؟ فقالوا : كلهم

في طلب الملك يتجوعون سنة مع أنواع المجاهدات فمن رقى على ساعده نور أبيض فهو يستحق الملك . فلما عاد الوزير أخبر الملك بقصة ما رآه فقال الملك : لا تتحقر فتحقر وسافر واعمل لتتذكر ، فهذا علو الهمة بالجوع والمجاهدات . ثم قال : لا يغرنك الجواشن والبيض ، فما تحتها الا قلوب البنات .

وقد رأيت بعينك مشار علو الهمة من الاستسقاء والسحر والكهانات والمعجزات والكرامات ، فان أردت ذلك فعليك بالجوع والعلم والعمل والخلوات يكشف لك العلامات بسرائر الكائنات .

وأخبرت ان بأرض المغرب طائفة تستخدم موسى الجن بعزائم ومقالات وبخور وجلوات ومجاهدات ، وقد ذكرنا ذلك كله في كتاب « خزانة سر الهدى » ، وذكرنا فيه كيفيات التعليم ، فاطلب وجد واجتهد ، فنيل مقاصد الرجال من غير تعب هذيان « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » .

تم هذا الكتاب ، ويتلوه كتاب آخر من كتب سر العالمين وعلم ما في الدارين ، من تصنيف الشيخ الامام حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي رحمه الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

فصــل
فى الرد على ابن سينا

اعلم انه لما طرق طارق هذا الخيال وعارض قلب الرئيس أبي علي بن سينا بأن قال : ان الشمس وسائر الكواكب جماد ونورها فياض عنها تمسك به عن غاية الاشتياق ، فلم يتمش كلامه بغير برهان ، فكانت الحجة واضحة عليه ، لأن الدلائل العقلية والنقلية كلها دالة على ان الأجرام العلوية النيرة ذات حياة وعلم وخبرة ، ومن شواهد النقل كما في الكتاب العزيز قوله تعالى : « ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال » وقوله صلى الله عليه وآله في خسوف القمر : « اللهم فرج عنه » .

فقد علم المشرع الصادق انه في ضيق يحس تألمه فطلب له الفرجة ، ثم تعلل هذا فقال عنه لسان الحال وليس هذا وجه الدليل فالسجود خلاف الكلام ، وسجود الجبل ظلاله كما قال تعالى :

« فالمدبِّرات أمراً » ولم يقل فالمدبرات، ففرق بين الفاعل والمفعول ولو كان مفعولاً لما كان مركزاً ومحلاً قابلاً له .

ثم أقسم تعالى « والسماء ذات بروج » فالبروج أماكن ليقع فيها الفاعل لا المفعول ، اذ الفاعل معنى ويتوجه اليه مفعوله.

وفي آحاد الاخبار الصحيحة ان الملائكة لتجذب الشمس على عجلة في جبال من ثلج أو برد فيسمعون لها تقديساً وتمجيداً ولو كانت جماداً لما أقسم الله بها في مواضع معروفة ، كما في قوله تعالى : « والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها » ، وفيها نكتة دقيقة ، يعني ان القمر ليس منير بذاته بل يكسب النور من الشمس .

ثم ننتقل الى الأدلة العقلية فنقول : وقع الاجماع من أرباب النقل وأصحاب صناعة النجوم أنها حاجبة الفلك لما يشاهد من أمرها ونهيها ، المنخرق في ذات الفلك، ثم تحكيمها في أهل الكرة السفلى ، وقد شوهد من صنائعها ما اثرت مشاهدته العارف العليم بأسبابها ، فمن أنكر شيئاً جهله ، وفي قطب الدليل والبرهان المميل العلم بحقيقة الخسوف .

فنقض الشيء مستدل على جملة أخرى ، ولما وقع الاعتراض اين المجانسة بين الروحانيات والجسمانيات ، حتى تؤثر بطبائعها

في عالم أهل الكون والفساد ، فلوّح الجواب لأربابه انه أية مجانسة بين الدواء وشاربه حتى يؤثر فيه الاسهال ؟؟

وان قلت : لأن الجميع مركب من طبائع أربع ، فاذا صح الجواب أن العناصر الأصلية أثرت في الحال بالكلية ، وهكذا النفس الخارج عن الجسد والمنفصل منه كان نفسه مأخوذاً من الهواء المتصل بالجرم المتخلل عن الدورة الفلكية .

فهو نتيجة الدور ، كالمروحة التي تروح بها ، فان كان الهواء منها فيبطل عليك كحاجة النخلة الى الماء ، وان كان منك فكيف يتصل بك ما كان منك .

وانما السر فيه أن الهواء واقفة فيفصله المروحة ، فاذا بان عنك اكتسب برودة الجو فتؤديه اليك بارداً ، وهكذا في جميع الأماكن وفي الحمام ، فلما صحت النسبة تصور البغض كما قوى الخيال على قوم فخاطبوه .

وقد شوهد من القرآن مقابلة الأجسام الروحانية ، وبرهانها موجود بنظر أهل الخبرة وعندكم يا أرباب المنطق ، ألستم تزعمون أن الفلك حي ويسبح بنغمات مطربة ، فالكواكب عندكم روح الفلك ، ولما كانت الحياة لائقة بالجسد كان في الروح اولى .

وهذا التلويح كاف ، كالشربة اللطيفة تعمل في مبدأ خلط

لطيف ، فاذا زاد عزّ عن تناول الدواء ، فلما صح سبب النسبة بين العالمين بالبرهان المتصل من الهواء بينهما صح العشق والبغض والأمر والنهي والوصل والفصل من المالك للملوك ، اذ الجانب الأعلى أفسح من الجهة السفلى ، وأهلها الروحانيون ، وهم المتحكمون بالعالم الأسفل ، لما يفيضون عليهم بسبب المجاورة بملكهم ، فاذا وقع الشك فزناد القرآن واضح « عند مليك مقتدر » .

وهذه لفظة تقريب واصلاح أهل اللغات على العندية لمنتهى معقولهم ، فاذا صح لك ذلك فتمنى لمجاورة هذا العالم الظاهر بسبب عشقه بطريق المجاز على ما ذكر ، بشرط خلو الفلك من المشغلات الفاسدة فيه ، حتى يصح لكم النبأ العظيم الذي أنتم عنه معرضون » .

فكيف تنظر الى نفسك بعين العزة وأنت محمول من جملة دور الفلك الأسفل وهو الأوسط من عالم الوجود ، فمل بنفسك الى الجهة العلوية ، فمن له همة كثيرة يقطع بها مركب جسمه فتصل الروح الى عالمها بما يشكل في نفسها من العشق القديم .

فصـل
في الزهـد

لما كان الزهد في اللغة هو الترك للشيء ، طار كل طائر الى ما يشاكله : فطائفة زهدت في الآخرة فمالت بفسقها ، وطائفة زهدت في الدنيا فمالت بصدقها ، وأخرى زهدت في الدارين رغبة في مالكهما ، وهذا الطريق الثالث هو أعلى المراتب واليه تطمح عيون الأصفياء ، وهو طريق صعب جداً ، لأن النفس تروح من تعبها بما تسمع من لذيذ النعيم في أكل وشرب ولباس واستمتاع فمن رفض الكل ولم يعلم ما الذي رغب فيه أصبح مذبذباً ، فهو داء بالكلية ولابد من دواء يرجع اليه ، ودواؤه عندنا ، فنقول :

انه لما عرفت ان كلما هو على الأرض زائل ، فاعلم انما تركته النفوس الطاهرة اختياراً لا اضطراراً كتوبة العاجز لكبر أو فقر ، والكل مشبه طلاق المكره .

ولما نظر العقلاء الى ان ما مضى من العمر هو فائت ولا لذة له ، وما يكون في المستقبل فما وصل بعد ، وما هو فيه من اللذات فما يدوم وهي منقضية وفانية ، فلذلك عادوا بطريق المنازعة الكلية لترك الدنيا ، فكانوا كمن صبر على مر الدواء لما علموا

بعده من تعجيل العافية وبقاء الأجسام من دونها ودون أغراضها الفاسدة ، كالبيت الذي علا باطنه من آثار الدخان أعراض سترت تحتها فرقة من الهوام ، فعمدت الى زواله وتنظيفه وكشف ما عليه من الضرر ، فالعين غسلها بالغض بعد البكاء ، وما جناه اللسان فطهارته من الذكر والاستغفار والندم والاعتذار ، فاذا علمت أن الجند بطاعة الملك فرجوعها على سرعة بعد نفورها ، لكن الخوف من تهور الملك ، فاذا تطرق الفساد عليه فالرعية تخرب لخرابه ، فمع سلامة العقيدة العلاج قريب للاعضاء .

ثم انظر الى زناد الخبر كيف قدح عن المشرع العظيم (ص): « ان في ابن آدم علقة اذا صلحت صلح الجسد ، وهكذا اذا فسدت فسد الجسد » .

فأكبر زهد لك اذا أردت الطريق الأوفر والنصيب الأكبر، هو الايقاع بين النفس الطاهرة والجسد الترابي بهجر الشهوات واللذات ، فاذا تركتها مع معشوقها فهي لا تبارحه بعد الانفصال فيصبر دونه لا ينفصل عن معشوقها ، وان كان لها سابق قديم من المكابدات والمجاهدات ألفت من الميل اليه ، وركضت تقدمها أعناق الطبائع الأربع ، والتحقت بأهل الملأ الأعلى في أسنى المراتب مع مجاورة السابقين الطاهرين ، وصارت تلتذ عن أكلها وشربها

بفيض أنوار القرب عليها ، كما يحظى العاقل بتقريب الملك له .

وفي اللذة العقلية من سماع العلوم والمطربات مغنى عن لذة المأكل والمشرب ، وقطع بهـا الفلك التاسع ، فاذا انتهت وراءها حظيت بمقام الأنوار الذي لا ليل فيه ولا نهار ، فأن الليل والنهار جعلهما الله خيطي الفلك يدور بخيط اسود وأبيض ، ويتخلل عنهما القضايا من خير وشر ، والفلك الثاني هو مركز القمر ويقاطعه في شهر كما قطع الأول في ليلة ، وهكذا تقول في الرابع وهو مركز الشمس ويقطعه في سنة دائرة ؛ ثم اسلوب النهاية الى الفلك السابع .

وقد علمت من قطع زحل الفلك ، فأين فراديس الثامن والتاسع .

هذا وأنت منهمك راغب على أدنى منزل وأضيق خطة ، ثم يكون هذه الروح الطيبة مجاورة الملك وراء الفلك التاسع الذي أطلق المشرع عليه اسم (الكرسي) ، فتلك منزلة عريت عن الأمراض والاعلال وتحاشت عن الفناء والزوال ، وذلك انا رأينا الفناء لم يطرق الا على أهل هذه الكرة لتغير أحوال الليل والنهار .

ثم قد تقرر البرهان عياناً ببقاء النيرين والكواكب مع قرب مجاورتها من الدائرة السفلى ، فاذن ما هو أعلى منه أدوم في

البقاء ، ولما جاز أن يكون بين كل فلك وفلك فسحة وبون وتميز صح أن وراء الفلك التاسع أعظم الفسح وأكرم المنح ، لمجاورة الأنوار القدسية .

ولما سار عند أرباب النقل ان الجرم الناري هو دون جرم الشمس ، لتراقي الأعراض الفاسدة اليه كالدخان وغيره صار عندهم مسكناً للأفواح الخبيثة الفاسدة لما أثقلها من حب الدنيا ، فكلما تهمّ النفس الخبيثة بالارتقاء الى المحل الأعلى غلب عليها شوقها الى عالمها الاسفل ، وهو معنى قوله تعالى : « وأما من أوتي كتابه وراء ظهره » ، فاذا خلصت من الدنيا وشبهها غلب عليها شوقها ، فرقى بها الى المحل الأعلى ، وهو معنى الآية « فأما من أوتي كتابه بيمينه » .

فأعظم ظلم النفوس ظلماتها ، وهو اللازم الذي لا يتعداها والطائر الذي لا يتخطاها « وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه » .

ولما صحت هذه البراهين ثبت ان هناك دار النعيم التي فيها جميع ما وعـده الله لأوليائه من النور والحور والقصور والقطوف الدانية والغرف العالية ، فمن قدر انه يملك دار القرار بحب الدرهم والدينار فقد طلب محالاً .

فأعظم درجات الزهد زهد النفس في الجسد ، بقطع الظلامات

والتبعات وهجر اللذات والشهوات ، مع ما يحصل لها من التعب في تحصيل هذه المؤنات ، فاذا تركها تروح لغيره وهو قد أنف من الجميع ، فأول درجة أن ينزع المريد عن نفسه حب الرياسات من الطمع والكبر والشح والرياء والحسد ، فهذه الاخلاق المذمومة هي كلاب النفس وسباعها وعقاربها وحياتها ، فاذا مات العبد ظهرت عليه من مكامنها فتعذبت النفس بها .

والجهل هو السم القاتل والتنين الأكبر ، فاذا صفت من هذه المذام المذكورة وتحلت بالأخلاق الحميدة وصلت الى مبدأ درجات الزهد ، وقوى جناح نور العقل فانبسط في بحر اليقين ، وأتاه بريد الصدق كاشفاً عن قلبه حجاب الغفلة ، فهو الزاد والمزاد ليوم المعاد ، والنفس مع ما ألفت ، وهي عاشقة لما اعتادت :

« هي النفس ما عوّدتها تتعود »

ثم أين هي والطبائع الأربع حتى تميل اليه بالكلية ، فهذه سماوية وهذه أرضية ، والألفة بينهما بدوام الصحبة ، فاذا فارق الراكب مركوبه استراح عنه ، والبدن مركب للروح ، فأين صيرته محبوبها انجدلت معه ولا تنفصل عنه .

والثقل في سكرات الموت ليس الا من شدة عشق النفس للبدن ، لأنها تحسبه مألفاً لم يجد بعده سواه ، وهذا خطأ جداً

لأن قرب الملك أولى على كل حال ، فاذا كان لابد من الوحدة فاعتد بها اختياراً منك .

وأقل درجات المتزهدين في الدنيا وقوف الملوك على أبواب زواياهم ، كما ذكر المشرع صلى الله عليه وآله : « ظفر الزاهدون بعز الدنيا ونعيم الآخرة » .

فان كنت قائلاً بطريق الشرع فكن على طريق محمد (ص) وان كنت بطريق أرباب العقل فقد مر بك طريق أفلاطون وسقراط وغيرهما من الحكماء .

واعلم ان أصل الشهد من مكسب ذبابة ، وأفخر أثواب الحرير من دودة ، وأصح مشاربها الماء ، والشاربون فيه على طريق واحد ، ثم الخيل وراكبها على عذر ، ثم النساء وما فيهن من التعب والمؤذيات والمؤنات اللازمة ، ثم الذهب والفضة وهما حجران ولو اجتمعت الملوك على تحريمهما لم يبق لهما قدر .

ومع ذلك فأنت تحسب ان الزهد يتحصل لك في ترك هذه السبعة الأشياء الظاهرة ، من الذهب والفضة والخيل المسومة والنساء والبنين والأنعام والحرث ، ولكن وراءها في الواقع سبعة خفية ، مثل العجب والكبر والظن الفاسد والشح والحسد والبغي والاعتداء ، فالزهد في هذه أولى ، فقد كان للسابقين أموال

ينفقونها في الطريق المستقيم ، وكانت بواطنهم طاهرة بخلافكم اليوم .

وكما ان الطهارة من الحدث وتأديب الظاهر لابد منه، كذلك طهارة القلب بالآداب الباطنة فرض عليك ، فظاهرك يصلي للرب وباطنك آتون الشهوات ، مع ما انك تعلم ان القلب بيت الرب وهو محل الرحمة ، وينبوع العلم ، ومهبط الملائكة ، ومكان الذكر ، وقصر الروح ، ولوح الحكم ، ومرآة العقل ، وسراج اليقين ، ولكن هذه محجوبة عنك بالتخليط والغفلة .

فعدت من نور الايمان الى ظلم طبعك بحجاب المعصية ، فكانت هذه الأنوار مستورة عنك ، كما ستر الغمام نور الشمس والقمر والكواكب ، وستر التراب الماء ، فاذا كشفته وصلت اليه، وظهر لك العلوم المخفية واللدنية بواسطة الالهام من لمة الملك .

فاللوح اذا كان ملآن لا يسع شيئاً غير ما فيه ، فامح عن القلب آفاته الذميمة حتى ينتقش لك فيه من العلوم ما يعجز عنه الحصر .

وأنت تعلم من حيث الشرع أن صورة الكلب على البساط يمنع دخول الملائكة البيت الذي هو فيه ، ثم مع هذا أنت تشد في باطنك سبع كلاب وأكثر ، مثل الحرص والأمل والغرور والشح

والكبر وجميع الأخلاق المذمومة ، فكيف يطمع مـَن هذه الآفات محصورة في قلبه أن تهب عليه نسمات القرب ، فهذه العاهات والآفات كلاب القلب •

فاذا عجزت النفس عن الزهد في الدنيا وجمحت الى الشهوات فسطها بمقارع المواعظ من الكتاب والسنة والأمثال ، وعودها بالأخلاق الحميدة ، فالخير عادة والشر لجاجة •

ومن علم انه سالك طريق الآخر فلابد له من التجهيز لها ، فان طلقت الدنيا والا فهي تطلقك ويقطع الوصلة بينكما بمدية الفناء ، فاذا صح لك هذا الطريق مع العلم والاخلاص جاورت نفسك أهل الملأ الأعلى مع الملائكة المقربين في اللذات السرمدية والحياة الأبدية ، ومجاورة الملك الكريم في الفردوس الأعلى من مكان صح فيه الاعتدال ، اذ ليس فيه ليل ولا نهار ، وتسمع للأفلاك نغمات تذهل من سمعها ، يطوش لها الألباب وتسلب من لذتها العقول ، فيكون النفس مجاورة الأهل القديم عند العقل الفعال الذي من ورائه واسطة عالم النفخ الصادر عن الفيض الالهي •

فيا طوبى للنفس الطاهرة وهنيئا ولها البشرى ، « فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » لأنهم فارقوا الأجسام الكثاف ، لأن النفس خادمة للبدن بتحصيل أغراضها ، وهي مولية عنه •

فاذا عزلت نفسك عن قصر هذه البنية عاد كل شيء الى أصله ومحله ، فاذا جاء وقت المعاد وجمع الأرواح والأجساد تحققت القيامة الكبرى بظهور معجزاتها وما فيها من العقاب الأليم .

ولا خلاف عندهم في المعاد ، لكنهم قالوا انه للأرواح دون الأجساد ، وهذا تعجيز فانه من بدأها قادر على اعادتها ، والروح شريك البدن في الطاعة والمعصية ، كالأعمى والزمن اللذين اشتركا في السرقة فأوجب الحاكم قطعهما ، والاشارة كافية لمن فهمها .

واعلم ان الدنيا كظلك ، ان أردت أخذه عجزت وان توليت عنه جاءك راغماً ، وهكذا نطق المشرع صلى الله عليه وآله وسلم حاكياً عن ربه « يا دنيـا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه » .

واذا علمت انها على هذه الحالة ونعيمها منتقل من قوم الى آخرين ، وابن آدم ليومه لا يفكر فيما كان ولا ما يكون ، واذا استراح من ألم لا يتخيل اليه ذكره ، وهكذا الروح لا تجد شيئاً من تعب الموت اذا كانت من أهل النعيم .

أما ترى الناس كيف يتنافسون في طلب الرياسة الفانية ، فمن علم دار البقاء كيف يفوته المقصد من الفوز العظيم ، وهي المملكة التي لا تزول والملك الذي لا يبور ، وقد علمت أن الزهد

هو العز في الدنيا والنعيم في الآخرة ، والراحة للبدن ، والغنى عن الناس ، والاشتغال بالله الكريم • وقد أشرت ونصحت «ولكن لا تحبون الناصحين» •

فصل
في الروح

لما كان لابد من الكلام في الموت والروح وأسرارهما وجب القول أولاً في الروح : فمن طائفة تعلقت بزعمها انها عرض ، ودليلهم أن الجسد ما كوّن الا لها ، وطائفة تزعم أنها جسد لطيف لا تقبل الفناء قياساً بالسماء ، وطائفة تزعم انها جوهر بسيط روحاني مدرك حساس ينتقش في ذاتها صور العلوم عند الانفصال والفرقة منها للجسد •

والطائفة التي تزعم أن الشرع قد سد الكلام فيها لما قال « قل الروح من أمر ربي » ، وهذا وجه الخطأ بمعتقدهم ، حيث يزعمون ان المشرع (ص) ممنوع عن الخوض فيها، وهذا لا يستقيم معناه ، فانه قد لوح في زناد كلامه «أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه» •

ثم ان المشرع ان كان كاملاً فقد عرفها ، وان كان ناقصاً فلا يجوز أن يكون مبعوثاً ، وانما المنع لأجلاف العامة عن الخوض فيها •

والصحيح انها هي باقية بعد الموت بأدلة العقل والنقل :

فأما النقل — وهو النص — قوله تعالى : « لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » ، وفي هذا الحال لا يستقيم أن يكون في القدرة تخصيص وعموم في الموت . وقوله تعالى : « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً » وقوله تعالى : « ولهم رزقهم فيهـا بكرة وعشياً » ، ففيها تمثيل لأفهام المخاطب ومعلوم أن الجنة ليس فيها ليل ولا نهار .

ومن الأدلة قوله عليه السلام : « ان نسمة المؤمن طائر تعلق في أشجار الجنة فيأكل من ثمارها ويشرب من أنهارها ، ثم يأوى الى قناديل معلقة تحت العرش الى يوم القيامة » .

وأما الدليل والبرهان العقلي هو : انا رأينا الميت كاملاً في صورته من غير نقص ، لكنه معدم الحركات مع النطق والعقل وسائر صفات يعرف بها الفروق بين الانسانية والبهيمية ، وانما الموت عبارة عن فاصلة بين الروح والجسد ، فاذا ذهبت عنه تعود الى عالمها الأول ، وهو عندنا العرش وعند الحكماء والفلاسفة هو العقل الفعال ، فان كان شوقها غالباً بقطع علائق الدنيا الى المحل الأعلى انقلبت مسرورة الى أهلها ، وان كان الشوق الى هذه الجهة الكروية وقفت مع ثقل ما هي فيه من مكتسب الأوزار

في فلك النار ، ومنعها ثقلها عن الطيران في النمط الموصوف بالاخيار •

وهذا أكبر ذنب العبد ، وبه يعاقب في النار ، ومنه كشف المشرع (ص) بقوله : « ان أرواح الأبرار لفي حواصل طيور خضر ترتع في الجنة » ، فكلما كان شوقها غالباً الى العالم المادي بقيت رهينة بذنبها ، وهو أكبر ذنوبها ، اذ هو حبها لغير جنسها وكلما تلاشى الجسم واضمحل قل اشتياقها وقوي الشوق الثاني الى المحل الرفيع ، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم : « كلما طال مكث جسد العبد في القبر نزل من ذنوبه » •

وبرهان هذا المعنى أن قلوب أهل الميت في اشتياقه ، وكلما اضمحل شيء من جسمه نقص من حزنهم ، ومنه انشد منشدهم :

الى الحول ثم اسم السلام عليكما

ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

وانما السر في وضع هذه الروح وملابستها لهذا البدن من باطن وظاهر انه مركبها لنيل مقاصدها من العلوم التي ترتسم في ذاتها ، فاذا تريد وتختار أن تكون ذات نفسك علوية راقية الى الرفيق الأعلى فابدأ بمحو صفاتك الذميمة ، واثبات صفاتك المستقيمة من الشح والبخل الى الكرم والبذل ، ومن الجهل الى العلم ، ومن الانكار الى المعرفة ، ومن الشر الى الخير ، ومن ظلم

الشبه الى نور الجلال ، ومن التكذيب الى التصديق ، ومن البطالة الى الاشتغال بالله ، والخلوة لتزكية النفس من الأخلاق الذميمة ، حتى تقوى نفسك الربانية في درجة الكمال ، فعند ذلك تنازعك في الانجذاب الى محل عليين ، فتصير في منازل الملائكة المقربين ، وتجاور جمال اللوح والعرش ، وتستمد القوة الالهية من العقل الفعال والفيض الالهي ، وتوقع بين جسمك ونفسك بقطع الشهوات وهلاك اللذات ، فيحدث زهد النفس في الجسد ، ويقع التمني بالانفصال لتنال اللذة السرمدية في الدار الأبدية •

وان غلبت النفس بعشق الجسد انجدلت عليه وسجنت معه فلا ترقى الى الجو وصار مصداقاً للذم من قوله تعالى : « ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء» •

فاذا قام البرهان بخلاف رأي الفلاسفة على ان الروح الطيبة ترقى الى المحل الأعلى ، وتكون الروح مطلقة بحكم اختيارها ، وتزور أهلها وتجتمع بأبناء جنسها بطريق الملاذة والمفاكهة والمحادثة الشرعية ، كما نطق المشرع صلى الله عليه وآله : « ان الأرواح تجتمع بعضها الى بعض ، فيسألون روح القادم فيحدثهم عما جرى » وقوله عليه السلام : « ان في الأرواح خرساً لا تنطق ،

ألا وهم الذين ماتوا من غير وصية » .

وعلى وجه الشرع فالأرواح تتخيل بما تريد من طائر وسواه قياساً بالملائكة النازلين على الرسل بصور البشر ، فباستقرارهم من قرب الملائكة استمدوا من المحل ما اكتسبوه من جوهر خاصية اكتساب الملائكة ، فان كان طبعاً فهو طبعهم . وانظر الى قول أمير المؤمنين عليه السلام ، فانه مع كثرة علمه وغزارة فهمه وقربه من مشكاة أنوار النبوة ، وانه ذبالة مصباح الالهية ، معتصر من زيت زيتونة ابراهيم كيف وقف بعتبة المصطفى ، فقال ما قاله من شكوى الحال .

ولأن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران وخاصيته مثل اتصال السمع بالمسموع والنظر بالمنظور .

وعلى الجملة ما من نفس بارة أو فاجرة الا وكان الموت راحة لها ، وانما الخوف من مفارقة الروح الجسد .

ومثال الموت كخدران وسكرة تظهر ، فاذا انفصلت عن الجسد عاد روعها ، وزالت عنها الأعباء الثقال ، ورجعت اليها صفة الكمال ، وتذكرت مكسبها من العلوم والأعمال ، ولهذا أشار عليه السلام « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » .

فظهر أن الموت خير من الحياة للعقلاء بحكم المجاورة من

رب العالمين . فطوبى لمن كان قبره روضة ، وويل لمن كان قبره حفرة . اللهم اختم لنا بالخير والحسنى .

فصــل
فى الموت

لما كان الموت أعظم المصائب وأكبر النوائب ، وهو أعظم هول شاهده الخلق ، ولا شك فيه لأحـد ، اذ برهانه اجماع وتصديق ، والعجب ممن يشاهد بعينه ثم يطلب دليلاً من سواه .

وهو القيامة الصغرى ، فاذا كورت شمس الحياة، وانكدرت نجوم الصفات ، وعطلت عشار المعاني ، وحشرت وحوش الجهل في مروج العقل ، وسجرت بحار العافية بنيران الأسقام ، وزوجت النفوس الصافية بقرين العلم والكدرة بالظلم ، ونشرت صحائف العمل قبالة ديوان النظر ، وبرزت جحيم الطغيان ، وأزلفت جنة الايمان .

علمت النفس عند ذلك ما قدمته من التوحيد ، وعقلته من التأييد الالهي ، فمن شدة السكرة ينفطر سماء النفس بانتثار كواكب العقل ، فيبقى العبد في منزلة بين منزلتين ، لأنه قد انقطعت عنه وساوس الدنيا ومهماتها ، ولم يكشف له أسرار الآخرة ، حتى اذا عاين صورة الملك طارت نفسه طالبة الى مقناطيسه

اذ الخاصية فيه ، من شاهده هلك .

وهذا لا ينكر ، فشاهده موجود ، وهو أن في الحيات جنساً اذا نظرت الى الانسان مات . والدهريون منكرون ، كيف يتصور أن ملكاً في السماء يقبض من في الارض ، وقد شاهد أرباب التصديق أن رجلاً ضرب حية فعضت على رجله فمات .

وفي الحيات جنس اذا نظر الى الزبرجد أو الياقوت الأخضر مات من وقته ، وذلك لتنافر بين المزاجين ، كما ان عسل النحل اذا وقع على اللبن الحليب وهو يغلي أفسد مزاجه وفرق بين الجبن والماء ، وخواص هذه الاشياء كثيرة وهذا من جملتها .

قالوا : فكيف يقبض العبد ولا يشاهد القابض ؟ وقد شاهدنا بعين العقل ان كثيراً من الناس اذا ناموا يشاهدون في النوم ما لا يراه القريب اليقظان ، وهذا عندهم عرض قد حل في جميع العروق ، يتيبّس بحرارة أو برودة بخمود الانفاس المتحركة فاذا انطفى البخار المتراقي من اللحم الصنوبري المتولد من الدم ووراؤه اللطيفة الالهية ، فالبخار سترها .

وغير منكر أنها نفس دموية وروحانية ، فالحركة والسكون من كسب الدموية ، والعلم الفارق بين الحقائق المعلومات من صفات الروحانية ، والعقل نور من أنوارها وحلية من حلاياها

فاذا جـُمعت النفس من جميع البدن ونفخ في صور العروق اجتمعت اللطيفة عند عرش القلب، فخرجت من الحلقوم ثم تنجذب حفية [1] .

ثم قالوا : لو كانت جوهراً بسيطاً أو جسداً لطيفاً لشاهده بحدة النظر ، وهذا غير ممكن ، فان الشاهد هو محجوب بهذه الجثة الترابية والزجاجة الطينية ، ونفسه لا تشاهده لأنها محجوبة بغير جنسها ، فأشبه شيء بالساكن في البيت لا يحس بما وراء الجدار ، فاذا نزعت بطريق الخروج شاهدت الملأ الأعلى من مقام المقربين والموقنين على قدر مكتسبها وقوة عملها ، وما كشف لها من نور العقل .

ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام : احضروا لميتكم ذوو النغمات الطيبة بطريق تعبير تلاوة حروف القرآن ، فان النغمات عند الموت تقطع سماعها وساوس القلب من الدنيا وهموم فراق الأهل والمال ، فيشتغل القلب بما يلقاه ، وتحثه لذة النغمات الى مقام السابقين ، فتقطع درجات التعب على نوق السباق بنغمات الحداة ، وتخلص من مهمه السكرات ، وتخوض في بحر الغموم حتى ينكشف له السر الالهي ، فترقى النفس من عقيب الجسم

(١) الحفي : المبالغ في الاكرام والمظهر الفرح .

وتصفو من شعبة العروق ، وتستريح من عظم مكابدتها ، فتلقاها قرين البشرى بالنجاة الأبدية ، وبه نطق زناد القرآن : « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » .

وهذا الخطاب لمن زكّى نفسه وصفاها ، وخلصها من ورطة ظلم الجهل ، فقطع عنها علائق الدنيا ، وجعل همها واحداً ، فيشاهد النفس ما تلقاه ، كما يشاهد النائم لذة ما يلقاه في المنام من محل طيب ومعاشرة أحباب ، لكن ذاك ينتبه ويزول ما يشاهده وحال هذا على الدوام .

فكلما قوى حال النّفس من العلم قوي حظها بما ارتسم فيها من نقوش نور الايمان والمعرفة بالله كما قال تعالى : « نورهم يسعى بين أيديهم » وقال تعالى : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

ثم يبقى المعاد ، فعندهم هو حشر أرواح صافية لمحاورات العقل الفعال ، وعود كل شيء الى عنصره ، ونزاهة النفس حينما تجده عند العود الى الوطن ، وهو الركن الأول .

ألم تر أن الغريب المثري يحن قلبه الى وطنه وان كان فقيراً في الأول ، فالمانع الشاغل عن الحنين هو شغل النفس بلذاذة

حب الدنيا الزائل عن قريب ، فلا تفتقر في هذا الى برهان ، لما تشاهده من القرناء والسابقين •

ثم تزعم بعقيدتك الصافية ان كتب البيع والسلم والفرائض هو العلم الذي يندرج معك في القبر ، أم معرفة علوم النكاح والطلاق ، أم الاحاطة بعلم الجنايات ، أم علم اصلاح اللفظ والمنطق فهذه كلها سياسات الدنيا ، وضعها المشرع ليكون لهم احاطة وسبيلاً •

فالعلم النافع في القبر ما ارتسم في ذات النفس وانتقش فيها فاذا وضع العبد في قبره وكان — والعياذ بالله — مفرِّطاً ظهرت عليه أفاعي الانتقام من صور جهله ، تحركه بسوء فعله ، وعقارب الندامة تلدغه ، فبكاؤك للمهجة لا للجثة ، فهناك تشاهد ميزان العقل ومثاقيل العلم ، فتنظر أي الكفين أرجح •

فالميزان للعقل لا للخشب ، بدليل قريب ، وهو برهان قوي: ان الأعمى اذا وزن عنده شيء لا يشاهده ، لأن آلة النظر معدومة والنظر واسطة تنقل المشاهدة الى القلب ، والقلب يرسم الصور بطريق الفكر في ذات الروح ، وهي النفس اللطيفة الالهية •

فعند عدم المقاصد الربانية يقول المشرع في الجاهل : « ادعوا له بالثبت فانه الآن يُسأل » •

فيكفيك آفات صفاتك المذمومة اذا ظهرت لك في ضيق القبر عن كل منكر ونكير .

فاذا سلمت أوصافك من هذه المذمومات وثبت لها صفات المدح ، صفا اليقين وصار القبر روضة من رياض الجنة ، وأشرقت شموس العقل بنور ما اكتسبه من العلم بطريق التأييد من التوحيد وهو العلم النافع في طريق الآخرة « نورهم يسعى بين أيديهم » .

فهذا الفصل كاف في القيامة الصغرى — وهو معاني الموت — لمن عقل الكلام من الموقنين ، ولهم درجات لا تدرك الا بنور العقل وصفاء العلم ، فالموت عبارة عن قطع صلةٍ حادثة بين الروح والبدن ، فانهم قائلون ان الفكر والوهم لا يتعلقان بذات النفس ، لأنهما في مقدمتي الدماغ ، فاذا عدمت الروح الحواس صارت عالمة بذاتها ، وغذاؤها ما عندها من العلوم ، فان كانت جاهلة فعند ذلك تقول : « يا حسرتى على ما فرطنا في جنب الله » .

والذي يصدقه الشرع هو أنها تعقل ما لها وما عليها ، فان كانت مذنبة قيدها الذنب فلا ترقى ولا تلقى ، فتكون في الارض كأعمى اختلفت الطرق عليه ، فهو يطلبه بعصاه بين جدران القبور كسائر الحشرات من دور الفلك ، وهم ونحن على ظهر الكرة وان كانت زكية طيبة رقت الى مقام الأنبياء والصديقين .

وأصل الشقاوة والسعادة حب الدنيا وبغضها ، كما قال عليه السلام : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » فمن شاء قلل ومن شاء كان من المكثرين •

فصل
في القيامة الصغرى والكبرى

أما بعد فانكم من الموت على خطر عظيم ، وسره في ذوات الأرواح جسيم ، وأنت مع ذلك عما يراد منك غافل •

والناس في أمره مختلفون : فقائل بين حار وبارد أو بلل أو عرض، أو داء يؤول الى فساد الصورة، والحال يتضمن قيامتين: فالكبرى وقد عرفت أهوالها ، ونحن نكشف لك سر الصغرى حتى تعلم أسرار القرآن ومعانيه ، وانه ما تركت على اختيارك وما تشتهيه •

فاذا كورت شمس عقلك ، وانكدرت نجوم حسك ، وعطلت عشار ذهنك ، وحشرت وحوش جهلك ، وزوجت بعملك وعلمك وظهر لك خبث باطن نفسك ، عدت اليها باللوم أسفاً على ما فرطت في جنب الله، ثم نشر المرض في صحائف حواسك وعروقك ،وكشطت سماء سموك والتحقت بالعدم ، وسعرت جحيم لؤمك لنفسك

حين فاتك الطلب بتزود العلم الكاشف لك حقائق المعلومات .

فان تكملت نفسك وطهرت عن رذائل الاخلاق الدنية ، أزلفت الجمال القدسية ، وانفطرت سماء جهلك عن نور عقلك ، وانتثرت كواكب طمعك عن حسيات جسمك ، فاذا تخلصت النفس بعلومها الكاملة العقلية الشاملة ، فجرت لك بحار الفيض الإلهي من العالم العلوي بعود النفس الى مكانها ، وتمكنها من العلم مع امكانها ، وتسير جبال جسمك ، ويسري العدم بطريق التحليل الى جميع أجزائك ، ويظهر لك منكر ونكير متصور من فعالك وجهلك ، وتلدغك حيات نداماتك .

فما خاطبك المشرع الاعلى قدر عقلك ، وأي فائدة لك اذا سلم غيرك ، وتزلزلت الارض بك ، وأي قدر لك اذا نفخ في صور عقلك ، وعدت عند المعاد وأنت سكران بجهلك .

فانظر الى اشارة القرآن لك حيث أقام لك خيال المثل ثم عكسه حين رمز بقوله : «وترى الناس سكارى وما هم بسكارى» .

فالصراط هو الطريق ، فاذا برزت النفس بطريق الكمال صادفت نور عقلها أمامها ، وشرف عملها عن يمينها بطريق التقارب لا بطريق العنديات ، فالعند والأين والكيف مدخلها على المكان والحيز ، وهذه الرواح فقد خرجت عن مركبها والتحقت بعالمها

المنزه عن الكيف والأين ، لمجاورة العقل الفعال الذي نسميه العرش ، لأنه يعرّش على كل ما يحاط به من الكائنات ، فاذا عرضت على نفسك وكشفت لها حالة التفريط انتصب لها صراط الحق وميزان العلم ، ووردت على حوض القرب من الملأ الاعلى وصارت من الله بقرب أجل الأملاك .

فهي مشغولة عن المأكل والمشرب بمجاورة مليكها بطريق علو المنزلة والاحترام ، يفاض عليها الفيض الإلهي بقدر ما اكتسبه من معرفته وتوحيده ، فهناك صفت الاجسام بالمجاهدة ، والعقول برياضات العلوم ، واليقين بالتصديق ، والقلوب بالكشف ، والالباب الصافية برفع حجاب الغفلة ، وطهرت النفوس عن محبة الدنيا الفانية ، وخلصت من كدر الطباع ، وتهذبت بأخلاق الأنبياء والعلماء .

فالعبد يستغني بذلك عن المأكل الفاني ، والحال الخسيس الداني ، ويظهر له من جنان العلو والسمو والدنو من الملك الكريم حور حسان خيرات مقصورات الطرف عن سواه ، وأي حور خير من حور المعاني في مقاصير قواليب أجسام الحروف ، تكشف لك عن ساق مقدم الفكر وتلبس جمال المهاني بقرب الأزل ، في خدور الدوام من وفاق كمال جبرئيل العقل ، فلا يلتفت الى

فواكه الجنة واعنابها وكواعبها وأترابها ، فلا قصور أحسن من القصور عن رتب الجهل « أعددت لعبيدي في جنتي ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

افتراك ما علمت النفس ما العنب والرطب والفضة والذهب والقصور والحور والأنهار والأشجار، بلى والله لقد عرفتها وعلمتها ولكنها ألفاظ ركبت لتقريب أفهام العرب : « كالسدر المخضود ، والطَلح المنضود ، والظل الممدود ، والماء المسكوب » ، والا فخواص الصحابة لم يقتنعوا بمقنع العامة ومرتع الدواب ، حتى قال قائلهم في المعرفة : « سبحان من لا سبيل الى معرفته الا بالعجز عن معرفته » والآخر يقول : « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً » وبعض العارفات قالت : « هبك انه لم يخلق جنة ولا نارأفما هو أهل للعبادة كيف أوجدك » .

وقرأ القارىء « جنات تجري من تحتها الأنهار » قالت رابعة : ما يصنع المشتاق بمأكل ومشرب ، ان في معاشرة الملوك غنى عن الطباخين .

فخواص الصحابة لم يقنعوا بمقنع العامة ومرتع الدواب ، حتى الأجرام لكل واحد ما تمنى وطلب ، لأنها معان تنتقش في النفوس كمن حدّث نفسه بشيء في النهار فرآه ليلاً ، واذا تنعمت النفوس

الكريمة الطاهرة العليمة لا يضرها من شقاء غيرها « لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » .

فاذا قامت القيامة الصغرى — وهي قيامة الموت — بان لك فيها جميع ما يتجدد في القيامة الكبرى ، الا أن في القيامة الكبرى حالة الاعلان والحساب على رؤوس الأشهاد ، وختم الأفواه وشهادة الجوارح بقدر مكتسب العلم والعمل ، والفاسق المعذب هو الخارج بجهله ، ولقد سدّ حب الدنيا لطالب لذتها جماعة من الأشقياء ، مسخهم طلبها في صورة القردة والخنازير ، فمالك لا تفهم ، لا آدم أكبر من العقل ، ولا شيطان أغوى من الهوى ولا سم أقتل من الجهل .

فتبين لمن فهم سر قوله تعالى : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً » .

أما نظرت أسرار القرآن كقوله تعالى : « وأنزلنا عليهم الكتاب والميزان » .

ولكن اذا أخذت وجمعت صحيح العلوم في كفتي ميزان المفهوم على صراط المعلوم بمحك الأحوال تبين لك من هو الهالك والناجي ، فلما تفوتك المقاصد من العلوم العقلية الالهية تعض

كف جهلك ندماً ، وتقول : « رب ارجعوني لعلي أعمل صالحاً » .

فقد تبيَّن الآن وانكشف ولاح لمن عرف، والله الموفق لكل طالب ما طلب ، انه لطيف بالطالبين ورؤف بالمؤمنين .

فصل
فى أسرار النبوات

اعلم أن النبأ مأخوذ من الخبر ، فتقول « نبأني » أي حدثني ، وللنبوة أسرار :

أولها خمير السعادة من قبل الأزل ، ومن لوازمها قطع العلائق من الدنيا سوى الضروريات ، كانقطاعه (ص) وتحصنه بجبل حراء ، حيث كان يشاهد شخصاً عن يمينه يجري .

ولأمية بن أبي الصلت حالة دلت على مثل ذلك .

ثم الوحي هو إعلام في اخفاء ، وعندنا هي مخصوصة على شخص بعينه كسائر الخواص في الأدوية والعقاقير ، فمن طبع الاهليلج التقبض ، وهكذا طبع العفص والبلوط وقلوف الرمان والسماق ، فاجتماعها تؤثر فيمن انسهلت طبيعته بطريق الحرارات وخاصية « المحمودة » الاسهال ، وهكذا في البنفسج المشروب، ومعاجين الورد ، والتربد الاصفر .

وشراب الورد خاصيته مع الثلج بخلاف الشربات البواقي

ومن جملة الخواص ما في حجر المقناطيس وجذبه للحديد، وحجر البذلة للذباب والطلسم المعلق لزوال النوم ، وحجر العطوف الذي يجذب قلوب الرجال والنساء ، والحجر الذي يصفق به فينحدر المطر ، وهو من أحجار الصين ، والجبل الذي يسلط على ساكنه السبات والنوم حتى يموت ، وحجر الياقوت الذي لا تتسلط عليه النار .

وكذا دهن الطلق أيضا اذا أدهنت به جسدك فلا يتسلط عليك النار وفتيلته لا تحترق في السراج ، وكذا المناديل المتخذة من أوبار أرانب سمندل الصين ، وحب اللؤلؤ المؤثر في السموم والتراوند الخالص للأكباد الحارة وهو في نفسه حار ، والبيضة الملفوفة في الخرق ولا يؤثر النار فيها .

والطوابيث المركبة مثل الحبشية للبغض ، والهندية للمحبة ومثل سحور النساء لجمع همهن ، وللسحر تأثير كتأثير عين المصابة ، ومثل الحروف المقطعة المركبة لبلوغ المقاصد ، فاذا أردت ذلك تأخذ رابعاً من كل ثلاثة أحرف من حروف «أ ب ت ث» فتوسع منه كلاماً لما تريد فيما تريد في وقت سعيد ، منزه عن النحس والتربيع ، فمع علو الهمة يحصل منه التأثير .

ومن السحر المكاحل والمذاري المزينة ، والنقاح المخاطبة ، ولعبة الرّجل ، وركوب الذبل ، ورقي المكانس خلف الأبواب .

ومن الأمور الكبار مثل الرقاء الذي تحدث مخاطبة الجن في الآبار ، وقلب العصى حيات ، وعقارب النحاس ، والسداب المانع للسحر ، ومنع الحديد في المراكب ، والخردل المرقى ، والشعير أيضاً ، وطلسمات الرباط والحل ، والضحك من تناول الزعفران . فهذا وأمثاله كثير ، وكل خواصه لا يداخل بعضها بعضاً .

فالقادر القديم رتب خواص النبوة في خواص الرجال كترتيبها في هذه الأنواع المذكورات ، وقد يختص الوحي شخصاً دون شخص ، كالقوى المتفاوتة ، فانك ترى ما لا يراه صاحبك وتسمع ما لا يسمعه سواك .

وقد مرت بك أحاديث أصحاب الفراسات ، فترى المصروع ينطق لحاله معارضة ، وقد يقوى الخيال حتى يصير تمثالاً ثم يصير أليفاً ، وقد يرى البصير ما لا يشاهده الأعمى ، فان آلة نظر الأعمى معدومة .

فحالاتك غير مستقيمة ، وأكبر حجاب لك حب عرض الدنيا وقد مرت بك أحاديث ليلة الثعابين ، حين ظهرت الأفاعي في وادي بني اسرائيل ، فاتخذ لهم موسى عصاً من نحاس وضع في رأسها صليباً وفيه طلسم ، فلما شاهدته الأفاعي ماتت جميعها ، ثم انسحب

الثعبان حتى ابتلعها عن آخرها .

ومن جملة الخواص أن رجلاً ضرب على حية حجراً فعظتها فمات الرجل (١) ، وأخرى تنظر الى الرجل فيموت ، وماء الحيوان في الأرض يحيي به الله من يريد .

ونزول الوحي على النبي المخصوص ، وهو كبعض هذه الخواص . قالوا : وسره هو اطلاع الأنبياء على علوم المتقدمين فعرفوا أسرارهم وعملوا ما أرادوا ، وهذا عندنا قبيح ، فان الله قادر متمكن حكيم ، يسري فيض سعاداته بطريق التحرك بواسطة الارادة الى من يقيمه مصلحة للخلق .

وقد تعللوا في بساط سليمان وزعموا أن السحر كان مدفوناً تحت كرسيه بالطلسمات ، واليوم بالمغرب طائفة تستخدم الجن كيف تريد بالطلسمات والخواتيم والعزائم .

والمنجمون يخاطبون الكواكب بالبخورات حتى يسمعون الكلام من الكواكب ، وان وقع الانكار على ان النجم لا يخاطب أحداً ، فقد وقع الاجماع على ان النجوم غير جماد ، وهي حية عارفة مريدة ، تقبل في سعدها ما تكلف وتقدر .

---

(١) أي ان الحية لدغت الحجارة التي رماها بها فانعكس التأثير على الرجل ومات .

فهذا النبي المخصوص كشفت له القدرة عن أسرار الوحي المبين ، وانهم يقولون ان بطليموس خاطبته الملائكة من السماء وليس فيكم غيره ، ولا فينا سوى محمد صلى الله عليه وآله ، وخاصيته كخاصية بطليموس .

ولما كانت الرموز مفهومة عند أربابها ، رمزت هذه الجمل ليفهمها من يفهمها ، فاذا طفت بنفسك في رساتيقها فلابد من طهارتها بكمال العلوم والمجاهدات ، فعند ذلك يظهر آدم عقلها ، ونوح عزها على جبل صفاء اليقين ، ويسمع موسى الفضل من فوق الجبل نداء اخلع نعل حب الدنيا « اني أنا الله رب العالمين » .

فيك الأنبياء ان عقلت ، ومنك الملائكة ان فهمت ، وقلبك بيت الرب ، وهو عرش الجلال ومهبط الملائكة ومنزل الرحمة ، فاذا ظهر منه داود دائك اكسره بوعظ جبرئيل عقلك ليظهر من تتاجه سليمان سلامتك ، قاعداً على بساط كسر النفس ، مغلقاً لباب الشهوات ، مصفداً لجن جنانك محضراً لعرش بلقيس النفس وأنت محجوب بحب الشهوات وعارض حب الدنيا ، لا شيطان أكبر من هواك ، وانظر الى سجود ملائكة اطرافك لآدم نفسك النازلة في بروج طينتك ، التي هبطت من جنة القرب الى الجسم الضيق الكثيف .

وقد وقع الاجماع من العلماء على ان تصوير صورة الكلب على لبساط يمنع نزول الملائكة في ذلك البيت ، وأنت في بيت هيكلك عشرة كلاب ، فاجتهد في قلعها وطردها لتشاهد ما كشف للأولين . وهي : كلب الحرص ، وكلب الأمل ، وكلب الكذب ، والشح ، والبخل ، والرياء ، والنفاق ، والحقد ، والحسد ، والقذف ، والنميمة . فهذه اعداؤك وأنت عنها غافل .

ثم تريد معايب مناقب الأنبياء ، أما سمعت ما نطق به المشرع صلى الله عليه وآله « يحشر يوم القيامة جماعة على صور الخنازير والقردة والكلاب » .

فاذا أردت نهاية الكمال بكشف الأسرار فعصى سرنديب ينقلب لك حيات ، واذا أردت معاني الطلسمات فعليك بكتب جابر ابن حيان ، وانظر كيف قد بيّن طريق الكهانة وكان من أكابر أصحاب جعفر الصادق عليه السلام .

وقد سمعت بالحيتين الموكلتين بسرير سليمان في حديث بلوقيا وعفان .

ثم من حدثك أن ذا القرنين سار من مطلع الشمس الى مغربها سوى القرآن الكريم الذي سيّر همتك العالية بمقاييس العلم في ظلم الطبع حتى اشرقت عليها شموس اليقين ، وغابت في عين

حمئة فملكت جميع مناقب أرض جسدك ، وخضت في بحار طبعك فوجدت بها جواهر القدس ، فان ضرب على قلبك سد الطبع ظهرت يأجوج ومأجوج الغفلات من ثمار الشهوات ، فكهفك جسمك وأصحابه ايمانك وكلبك حرصك . جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة .

فصل
في الفرق بين المعجزة وغيرها

ولنا أن نعلم درجات النبوات والرسالات والكرامات والنيرنجات والمعجزات والخزعبلات ، فالنبي لنفسه مثل يحيى والخضر وغيرهما ، والرسول يأمر بما اوحي اليه، فالمعجزات خرق العادات : كانشقاق القمر ، وخطاب الذئب ، وسجود الشجر والدواب . ولها أصول موضوعة وأسرار مرموزة .

والكرامات كالمعجزات ، بل انها آية للنبي (ص) مأمور باظهارها ، وعون للولي مأمور بسترها ، تحدث باختياره وبغير اختياره .

واما الخزعبلات والسحريات والنيرنجات فلا تظهر الا بواسطة تركيبات وتبخيرات وآلات خاصة معدة لذلك ، بخلاف المعجزة والكرامات ، فان مجرد أنفاس النبي والولي كاف في اظهارها من غير احتياج الى عدة وآلة .

واما النيرنجات فطريقها معروف ، كاشتعال السراج بالماء وتسييرها في الأبواب من غير أن يحمله أحد ، وفيهم من يجعله من النهار ثلاثة أيام أو أكثر ، وكاظهار الفواكه في غير أوانها ، واظهار الذهب في الهواء ، وتدهين البدن بالطلق فلا تمسه النار .

وبالهند أحجار وأشجار اذا شاهده الحيوان سجد له .

وقد يعملون بالهند بخوراً كل من شمه أو شاهده أخذه البكاء من غير اختيار ، وهذا ممكن لأن من تحيّل بجلب الدمع من العين من غير بكاء يأخذ من عصارة ماء الخردل مع الكندس بمنديل يستجذب منه ريحاً مبكي ، ولا يعسر هذا الحال ، فيتحيل على الناس كثيراً .

ومنها دفع السموم بالدرياق النافع ، مثل البندق والعسل الخام اذا خلطهما وأكلهما لا تضره لسعة العقرب . وكذا «العقلى» مع الزيت اذا طلى به مكان اللدغة فأنها تشفى وتبرأ ، وكذلك الخل المغلى فانه يجذب سموم اللدغة اذا طلي عليها .

ومنها خاصية حجر الياقوت في منع العطش .

وقد سمعنا ان بالهند جماعة عندهم رقيات وتعويذات اذا قرأها على التنور وقع الخبز كله ، وعلى القدر فيقطع غليانه ، ويقرأ على السفينة فتقف عن سيرها في البحر ، وعلى الكلاب فلا تنبح .

ثم بوادي حضرموت عند المغارة الحمراء جبل وفوقه شجرة سدرة وهو بقرب قبر هود عليه السلام ويؤخذ من أحجاره فصوص ويركّب على الخاتم وقت مقارنة الزهرة مع المشتري ، فاذا تختم به الانسان إن اشار الى الريح في الهواء فلا تسكن حتى توصلك الى مطلوبك .

وهذه الخزعبلات التي ذكرناها كلها لا تقوم الا بآلاتٍ وتبخيرات ، وأصحابها ما لهم نور ولا صفاء ، بل حالهم كسائر أهل الصنائع والحرف يزاولون صنعتهم ، بخلاف الأنبياء والرسل الذين لابد من وجودهم لسد حاجات العباد وانجاح مصالحهم ، فهم عليهم السلام قد صفت نفوسهم وظهرت أنوارهم بحيث لو نظر اليهم من لـه عين بصيرة لفرّق بينهم وبين سائر الناس العاديين .

كما في قصة الأعرابي حين دخل مسجد النبي (ص) ، فلما عاين الى النبي (ص) تبسم وقال : ما هذا وجه كذاب ، وأسلم في الحال من غير أن يطلب منه معجزةً .

فنفوس الأنبياء كالمغناطيس في جذب النفوس المظلمة من هاوية الجهل الى مشارع الحق ، ولا يستعينون فيما يظهرونه من العجائب الخارقة للعادة الى عدّةٍ وآلة وتبخير وتسخير ، بل

يتصرفون في العالم العلوي كشق القمر وفي الأرض كفلق الحجر وسجود الشجر ، وببركاتهم تعمر الأقطار ويبقى المدار .

اما السحريات فانها تفنى عن قريب ولا تؤثر الا في نفسٍ خاص في أحوال مخصوصة .

واعلم ان النبوة والسلطنة العامة توأمين ، فبهما تتم مصالح الدنيا وسياساتها وعماراتهـا ، فتسكن الهياج والنزاع وتزيل الشرور عن الناس ، كالبدن اذا طغى دمه يسكن هياجه بالفصد والحجامة .

واعلم ان أشرف البقاع (مكة المكرمة) لظهور المؤيد المنصور من أرضها ، ثم السكنى بقرب دار الشرع لأن بركته تشمل المجاورين بفنائه قياساً بظل الملوك على من حلّ حول حماهم ، ثم مقام آثار الأنبياء والأولياء كالقدس والخليل في فلسطين وعبادان وانطاكية ومقام الامام المنتظر عليه السلام بالعراق ، لأنهم تمحّضوا عن الشجرة النبوية فأصابتهم قادحة نور السعادة ، ومنها جبل الجودي فان باب الوحي اليه مفتوح وفيه يرتفع دعاء الراجي من كرمه تعالى وعفوه ، فانّ للدعاء تأثيرا في السماء مثل تأثير الأنفاس في استسقاء ماء الغمام .

ومنها بيت نوح (ع) فأنه يشمل مقاصد الدعاء ، كما حكى

تعالى عنه « ولمن دخل بيتي مؤمناً » وكذلك معابد المنقطعين الى الله المتبتلين الذين لا يشوب عملهم درن الرياء •

والسر فيها هو صدقهم واخلاصهم في اتباعهم لآثار الأنبياء والأولياء والصالحين ، فانجذبوا بخلوص هممهم ونزاهتها عن كدر الدنيا ، فجذبوا رشاشاً من أنوارهم فاستناروا ونوّروا وعملوا فأصابوا •

وحسن الظن مقناطيس القلوب يجذب به صفاءاً ووفاءاً ، وبلوغ درجات السابقين •

والله نسأل أن يوفقنا لإقتفاء آثارهم واقتباس أنوارهم ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين •

ملاحظة هامة

لقد فاتنا في المقدمة ذكر الطبعة المصرية لهذا الكتاب وبالاضافة الى الطبعة المطبوعة في مصر تكون طبعتنا هذه هي الطبعة الرابعة • • •

الطباطبائي الحسني

فهرس الكتاب

